

155929

SPC

DT

1032

رحلة

سهو الامير محمد علي باشا M85

1924

RBK

في

جنوب افريقيا

تقدمة من
الدكتور ابراهيم أبو لغد

20992

مكتبة جامعة بيرزيت ١٣٤٣ هـ - سنة ١٩٢٤ م



احمد مختار

الاعتماد

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وجب حمده في السراء والضراء كما وجبت طاعته في الشدة والرخاء تعالى وحده عن نقد ناقد فيما ابتدع منزه لا اعتراض عليه فيما صنع خلق الاضداد لحكمة بالغة وسير الاكوان بقوة باهرة وسع ملكوته الغث والتمين كما وسعت رحمته المارق والأمين تجلي جلال خلقه لاولى البصائر وشهد بحق تقديسه اولو الفهم والضمائر فله المنة على ما أولانا من خير النعم واليه دوام الالتجاء من شر النقم فنسأله بقلب صادق ونضرع اليه بجنان ناطق حيث وعدنا من فضله بالاستجابة وكتب على نفسه الرحمة والائابة نسأله أن يسدر بالتوفيق خطانا وان يبعث من أمتنا سابقين للخير اعوانا وان ينقى قلوبنا من رجس الحقد والبغضاء لتسود بيننا المحبة والصفاء ففي ظل السلام والامان ييزغ نور الحكمة والعرفان وتنشط الامم بالجد والاجتهاد وتزكو العقول فتنفيس بمكنون العلوم وتجود القرائح بسحر الفنون هنالك تقر الاعين وتطيب الانفس برؤية عروس المدينة الحقة التي لا تبسم وتحيا الا تحت سماء الفضيلة والسلام وان حلت بأرض أصبح ترابها تبرا وطينها نضارا وان أشرقت في أمة أمسى أهلها أبرارا فلتحقيق هذا الامل يعمل العاملون الذين يحبون وطنهم لا يبتغون منه أجرا ولا من الناس جزاء بل ابتغاء مرضاة الله وهم يخشونه ويخلصون اليه ويرجون المثوبة عند الله فهي خير وأبقى



فألهم اكتب لامتنا السعادة وأربأ بها عن ذل الشقاوة وثبت أقدامنا في
الجد والاجتهاد لنفعل العباد اقتداء برسول الهدى ونبي الحكمة سيدنا محمد عليه
أفضل الصلاة والسلام وعلى جميع رسل الله المسكرمين وانبيائه الصادقين
وبعد فقد تسنى لي منذ الصغر الافامة والتجوال في بعض البلدان الاجنبية
مما ضاعف مبلى الى رؤية الاقطار البعيدة والاطلاع على أحوال أهلها فقامت
برحلات كثيرة في أوروبا وآسيا وشمال أمريكا ونشرت عنها في حينه ما يجدي
ذكرة من غريب تجدر معرفته ونافع ترجى فائدته رغبة مني في ضم هذا المجهود
الى المجهودات الصادقة التي تبذل في سبيل ترقية بلادنا العزيزة باقتباس أنجح
الوسائل والاخذ بأسباب التقدم الحديث مع المقارنة الدقيقة باحوال الامم في
العصور السالفة والنظر الى تطور الحياة العالمية باختلاف الظروف وتباين الافكار
والعادات في مختلف الشعوب والأصقاع وعسى أن يكون فيما قصده من نشر
مذكرات سياحاتي فائدة لمحبي الاطلاع من ابناء وطني الذين لا تسمح الظروف
لبعضهم بالاسفار البعيدة وبذلك تكون لديهم على الاقل صورة حقيقية لما
شاهدت ورواية صحيحة لا يشوبها غرض لغرض فيما نقلت والله يوفقنا لما فيه
الخير والنجاح

رحلاتي في جنوب أفريقيا

بدأت رحلتي الى أقطار جنوب أفريقيا في يوم الأحد الموافق ٦ ابريل سنة ١٩٢٤ ميلادية من ميناء بور سعيد حيث بعد ذهاب الخدم مع الامتعة السفرية قصدت الباخرة في الساعة العاشرة والدقيقة خمسة واربعين صباحاً على لانش « زورق بمحرك » تابع لشركة القنال قدمه لي مسيو شاير وكان معي من المودعين صلاح الدين بك فيضي وباهر بك صدقي وأخذ باقي أصحابنا لانش آخر تابع لشركة كوك ولما صعدنا جميعاً الى ظهر الباخرة وجدناها مزدحمة بالسائحين والزائرين ، وطائفة من باعة بور سعيد جعلوا سطح الباخرة سوقاً للبيع وقد أدهشني وجود كثير من الهنود الذين يدعون علم الغيب «فتح البخت» ، وعند الظهر تماماً ودعنا اخواننا الذين رافقونا من القاهرة الى بور سعيد ليرجعوا بقطار الساعة الثانية عشر ونصف ، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تماماً تحركت الباخرة وقد وجهنا الى العناية الالهية رجاء السلامة في سفرنا الطويل .

ان باخرتنا هي من بواخر « يونيون كاسل » وتسمى « نورمان » وهي قديمة انشئت منذ ثلاثين سنة ، وغرف النوم بها ضيقة وجهازها من الطراز القديم وتبلغ حمولتها ٧٦٠٠ طن وهي سريعة السير خاصة بالسواحل وأغلبهم من موظفي الحكومة الانجليزية بأواسط أفريقيا



وقد رأينا بقائمة « جدول » مطبوع بها أسماء المسافرين والموانئ التي ينزلون فيها ان من ١٧٤ من مسافري الدرجة الاولى ١١٣ ينزلون في ممباسا . أغلب السواح انكليزيون ما عدانا وفرنساويان يظهر من لهجة أحدهما وملاحظه أنه من أهالي مرسيليا الذين يبالغون في القول ويشيرون الضحك في المجون والهزل . كان مع هؤلاء الموظفين نساؤهم ، وأولادهم الذين نراهم بكثرة على سطح الباخرة يلعبون ويصيحون فترتفع منهم غاغة وضوضاء مقلقة ومن العجيب أن هؤلاء الصبية الظرفاء يصرخون ويتضاربون من أجل لعبة أو برتقالة يأخذها أحدهم من الآخر ولقد ذكرني هذا المنظر بأن الغيرة الانسانية وتنازع بني البشر يظهران في الانسان من عهد الحداثة والصغر كما أن من الصفات الفطرية تشبث المسلوب الشيء في استرداد ما سلب منه وان الانسان ليأبى بكل شعوره وقوته أن يبديت على حق مهضوم أو أن يغاب على أمره .

الطعام في الباخرة لا بأس به (ويدعى الى تناوله ببدء بوق كما هو الحال في الجندي) ومع صغر الباخرة يوجد بها طقم موسيقى وترية تصدح بنغماتها أربع مرات في اليوم .

كان سيرنا في القنال بطيئاً بسرعة ما هو مقرر للسير فيه ولذلك لم نصل الى الاسماعيلية إلا في الساعة السابعة مساءً وخلافاً لما كنا نتوقعه من حرارة الجو شعرنا برطوبة اضطررتني الى ارتداء المعطف ، تقابلنا بعد الظهر أثناء سيرنا بالقنال بباخرة كبيرة تابعة لشركة P. N. O.



اسمها «Kaiser I. Hind» ذات طبقات خمس وكانت قبل الحرب الدولية
الاخيرة تابعة للشركة الالمانية «N. D. L.»، وفي الساعة السابعة ونصف
مساء أمام الاسماعيلية نزل «Pilot» العامل الدليل في زورق وجاء آخر
بدلاً منه ليوصلنا الى السويس وفي الساعة السادسة من صباح اليوم
التالى وصلنا ميناء السويس حيث غادرناها فى الساعة السابعة صباحاً
فابتدأنا نأبح البحر الاحمر وليس به شىء من اللون الاحمر بل بالعكس
كان البحر والسماء زرقاوين والآن نمر فى خليج السويس بين شاطئين
من الجبال العارية من الاشجار والنبات وهى أشبه شىء بجبال شواطئ
الأناضول وبلاد اليونان فى فصل الصيف وليست هى سلسلة متواصلة
الارتفاع على طول امتدادها لكنها متقطعة وفى هذا اليوم كان البحر
مرحباً بجباله والهواء منعشاً بخفيف نسيمه وقد مرت بنا عدة مراكب
محملة بالبضائع ومضى هذا اليوم ومن على الباخرة من كبار وصغار
يلعبون الالعاب البدنية والرياضية وقبل الغروب بساعة غاب عن نظرنا
الشاطئ الشرقى وصرنا على مقربة من الشاطئ الغربى للبحر الأحمر وهو
شاطئ مصر وكنا نرى فى الليل الفئارات المتعددة التى لها أكبر فضل
على الملاحة مما يوجب الثناء على الحكومة المصرية.

فى اليوم الثامن من الشهر عند قيامى من النوم صباحاً وجدت
الجو حاراً رطباً ينبىء ببحر هذا اليوم فأمرت خادى أن يعد لى أخف
الملبوسات ولكن عند صعودى على سطح الباخرة وجدت هواء معتدلاً
ونسيماً عليلاً دام طول اليوم من جهة الشمال الغربى وفى الساعة

الحادية عشر صباحاً مررنا بمنار في وسط البحر على نقطة ليست عميقة يدعوني جمال منظرها لذكر وصفها وهذه البقعة تبلغ مساحتها نحو المائة فدان تقريباً واقعة في وسط البحر وكان لونه شديد الزرقة، كلما تعدوا الامواج على جوانب تلك البقعة تتكسر وترسم خطأً أيضاً من زبد الامواج حول تلك البقعة ذات اللون الاخضر الفاتح وهي من بعد كأنها أرض تكسوها الخضرة الجميلة . وبعد ذلك كنا في وسط البحر لا نرى شيئاً من الشواطئ وفي المساء بعد طعام العشاء كان الركاب يرقصون على ظهر الباخرة عادتهم كل ليلة ، وفي هذه الليلة صرح ربان الباخرة للمسافرين بالنوم على سطحها في العراء لمن يرغب ذلك لشدة الحر ولقلة الهواء في غرف النوم بالطابق الأدنى فخصص الجانب الأيمن من سطحها للرجال والجانب الأيسر للسيدات . في صبيحة اليوم التاسع من شهر ابريل كان الجو صفواً جميلاً وفي الساعة الحادية عشر مررنا بمنار وسط البحر يشبه ذلك الذي مررنا به وفي الساعة الثانية بعد الظهر دخلنا ميناء بورسودان التي يدل بناؤها ونظافتها وترتيبها على أنها أنشئت حديثاً ولما لم يكن لنا باخرتنا محل بجانب الرصيف لكثرة المراكب والبواخر الاخرى القينا المراسي في وسط الميناء ، وصمن هذه السفن اثنتان تحملان خمماً من بلاد الناتال بجنوب أفريقيا وكان أمامنا على الشاطئ بناء كبير عليه علمان احدهما مصرى والآخر انجليزي وقد فهمنا أنه دار المحافظة ولو أن العلم المصرى لم يكن ذلك العلم الجديد الاخضر اللون بل لا يزال هو العلم الاحمر القديم



الا أن ذلك كان داعياً لسرورى اذ يرى الانسان أن العلم المصرى لا يزال
يخفق فى السودان جعله الله دائماً قائماً . بجوار هذه المباني فندق وبناء
آخر أعد للتلفراف الانكايىزى وعلى مقربة منه تلفراف لاسلكى تابع
لحكومة السودان وعدة دور أخرى للشركات والمصارف المالية
والصحة والكورتينيات . تجمعت حول الباخرة جملة زوارق نظيفة
بحارتها من السود ووقفوا بزوارقهم على مسافة قصيرة من الباخرة
وبشكل منتظم دون صياح أو تراحم لنقل الركاب — خلاف الحالة فى
الموانى الاخرى — فكانوا ينتظرون الطلب بالامر وبعد الاجراءات
الصحية المعتادة ومجىء البواليس الى الباخرة تصرح بالنزول لمن يرغب
وقد نزل بهذه المرفأ احد عشر مسافراً ضمنهم ثلاث سيدات من
المبشرات وفرنساويان يقصدون بلاد الكنجو الى ما بعد خط الاستواء
والباقون موظفون بحكومة السودان ، وبعد أن غادرنا هؤلاء ذهب
بعض السواح لاستطلاع البلدة وللتنزه وقد شاهدنا بالميناء عدة زوارق
« بالموتور » وأخرى شراعية للسباق وهى فى الغالب تابعة للموظفين
الانكاييز . — عند غروب الشمس جاء صاحب الفندق ودعا السائحين
للقص بعد العشاء فى فندقه .

فى صباح اليوم العاشر غادرت سفينة هولاندية الميناء فخلاً جزء من
الرصيف رست به باخرتنا وجاء على سطحها رئيس عملة من السواحلية
معه نحو ثلاثين رجل بعضهم زنوج وبعضهم سواحلية لتفريغ البضائع
من عنابر الباخرة بواسطة الآلات الرافعة « ونش كهربائى كبير »



كالتى بأوروبا وكان هؤلاء الرجال أثناء عملهم يصيحون ويغنون ويرقصون
ولاحظت أنهم أقل بكثير فى القوة البدنية والنشاط من الفلاح أو
العامل المصرى من أهالى الوجه القبلى وهم كباقى الزنوج يشبهون
الصبية والأولاد فى أخلاقهم وهذه النفسية تظهر فى عملهم اذ تجدهم
كلما فرغوا جزءاً صغيراً من البضاعة أظهروا فرحاً شديداً بغنائهم
وجلبتهم كأنهم قاموا بعمل عظيم وهكذا كان يضيع الوقت ونحن
ننتظر انتهاء تفرغهم لنخلص من حرارة تلك الجهة . يوجد على رصيف
الميناء كميات كبيرة من البضائع عدا الموجود بالمخازن الكبيرة والى تبلغ
نحو عشرة ، وقطارات السكة الحديدية فى حركة ذهاب واياب .
أفرغت باخرتنا كمية كبيرة من المواسير الحديدية والمسامير والآلات
المتنوعة الكثيرة وكان ظاهراً أنها مرسولة الى الاعمال الجارية
بمخزانات مكوار التى طالما سمعنا بها . جاء على الرصيف أمام سلم الباخرة
ثلاثة من الباعة ووضعوا أمامهم مامعهم من عقود سن الفيل للسيدات
ومصنوعات أخرى من سكاكين وسيوف من صنع السودان فاشترى
بعض السواح من هذه المصنوعات وكان يوجد أيضاً مع أحدهم غزال
صغير ومع آخر قطع مرجان وعلى الرصيف اناس مختلفو الأجناس من
انكايز ومصريين وعرب وهنود وأحباش ويمايين وزنوج ولا تنس
الأروام أيضاً وكان على الرصيف جندى أسود من البوليس يفتش
الأهالى عند صعودهم ونزولهم من الباخرة وقد لاحظت أن الشياطين الذين
يحملون الاحمال الثقيلة هم من أهالى اليمن ومن الغريب أن أصواتهم



رفيعة تشبه صوت الأغاوات ويظهر أن الاهالى لا يحصلون على غذاء كاف لما يلوح عليهم من ضعف البنية . وصلت الى الميناء هذا اليوم سفينة من الشركة الخديوية مملوءة بالسواحلية والعبيد . قد ظهر لنا من بطء سير العمل أن الباخرة ستأخر عن موعد سفرها الى منتصف الليل فنزلنا في الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر مع ربان الباخرة الذى جاء معه موظف تابع للشركة للفسحة بالرفاص ومشاهدة الميناء بدعوة منهما وقد مررنا بكثير من «السانبوك» أى المراكب الشراعية لنقل المتاجر بالبحر الأحمر وكانت مشحونة بالقطن الوافد من طوكو واكثرها يحمل العلم الايطالى وقد أخبرنى موظف الشركة أن بالميناء ممعلا لعمل الاقمشة القطنية تابعا لحكومة السودان وقد أرسل في العام الماضى الف طن من بذرة القطن الى مدينة هل بانجلترا لاستخراج الزيت ومن ذلك يعلم مقدار العمل وأهميته . رأينا بجهة من الميناء جزءا علمنا أنه جىء بغواص من انجلترا ليختبر عمق مياهه بجوار الساحل لمعرفة ما اذا كان عمقه يساعد على عمل رصيف لمرسى البواخر . ان ميناء بورسودان واسعة ومعدة لتسع عددا من السفن الحربية ويبلغ عمق المياه تسعين قدما أى ثلاثين متراً وهذا يكفى لأى سفينة حربية الرسو فيها والدليل على ذلك أن هناك فحم كريفى الخالص المراكب الحربية وهذا عدا فحم الناتال الذى تكلمنا عنه وهو لبورات السكك الحديدية وللبواخر العادية . وصلنا فى فسحتنا داخل الميناء الى كوبرى السكة الحديدية الذى يرفع من ناحية واحدة على شاكلة



كوبرى بولاق ومن هناك عدنا الى الرصيف لشمى قليلا لرؤية البلدة
 فررنا بمنزل الطبيب وبنك الانجلو اجيبسيان ودار المحجر الصخى وقد
 لاحظنا أن الاشجار والخضرة قليلة جداً لأنهم يجلبون الطينة الصالحة
 للزراعة من مسافات بعيدة وتشجيعاً لأيجاد الاشجار تعطى الحكومة
 مياها لريها دون مقابل وهذه المياها مستجلبه من مياه البحر بواسطة
 « الكندانسا » ولما بللنا العرق من شدة الحرارة ورطوبة الجو فضلنا
 العودة بالرفاص عن المسير والفسحة فررنا بكثير من الزوارق عليها
 عدد من ركاب باخرتنا يلهون بصيد الاسماك الكثيرة فى هذه المياه
 وعند الغروب سكن الهواء وصعب التنفس حتى أننا لم نتمتع بالنوم تماماً
 فى هذه الليلة وفى الساعة الثالثة صباحاً سمعنا أول صفير من الباخرة
 يشعر بقيامها وقد غادرت الميناء فى الساعة الرابعة صباحاً أى متأخرة
 بأربع وعشرين ساعة عن موعد السفر بسبب بطء عمال الميناء وقد
 احتج القبطان على ذلك لان الباخرة ليست باخرة لنقل البضائع وانما هى
 خصيصة للمسافرين وللبريد ولها مواعيد معلومة فى الموانى التى تمر
 بها وليس لها أن ترتبط فى مواعيدها بسبب الشحن والتفريغ .

فى يوم ١١ ابريل كان يصعب التنفس داخل غرف الباخرة ولكن
 على ظهرها كان يقابلنا الهواء المنعش وذلك من سرعة السير ولم نر شيئاً
 طول يومنا بالبحر غير نوع الدرفيل الذى كان تارة يظهر وأخرى يغوص
 بجوارنا ، ولم يكن فى الباخرة رقص كما دتيم وانما استعاضوه بحفلة
 كونسرت فى صالة الطعام فذهب أغلبهم لسماعه وذهبت للنوم فى



الساعة التاسعة مساء وكان الحر شديداً جداً ولم استطع النوم حتى الساعة الواحدة بعد نصف الليل فخلعت ملابسى وأدرت مروحة الهواء غير مبال بما تسببه المروحة في هذه الغرفة الصغيرة من ألم في الرأس وفي يوم ١٢ ابريل عدلنا مواقيت الساعات وفق ساعة عدن وهي متقدمة ساعة زمنية عن الساعة بمصر وفي هذا اليوم مرت بنا كثير من البواخر لقربنا من مضيق باب المندب وفي الساعة الحادية عشر صباحاً مررنا بجزيرتين وفي الساعة الثانية بعد الظهر كنا أمام جملة جزائر صغيرة وكبيرة غير مسكونة وليس بها شيء سوى الفنارات وتسمى « Twelve Apostles » وقبل الغروب تقابلنا بأربع بوادر متجهة الى الشمال وفي الساعة السابعة مساء مررنا بين جزيرتين ثم بدأت الرياح تهب وتلطف الجو فقابلنا ذلك بسرور وانشراح لما صادفناه قبلا من شدة الحر المزهق . لا بد لي أن اذكر أيضاً أنه خلاف ما كان من لعب ورقص وتسليمة بدنية ورياضية كل يوم كان يوجد بالسفينة قسيس انجلىزى يعطى درسا يوميا في اللغة السواحلية والسودانية المنتشرة في غرب افريقيا وسواحلها فكان كثير من السيدات والرجال شبيا وشبابا يحضرون هذا الدرس وكل منهم يحمل كراسته لهذا كرة وبهذه الطريقة يستفيدون في مدة شهر السفر ما يلزمهم من اللغة ليتيسر لهم التفاهم بها على قدر الضرورة في هذه البلاد ولقد أعجبنى ذلك منهم لأنهم عمليون يعملون لمنفعتهم وآسف لعدم اهتمام الشرقيين بمثل هذه



الصفات وقد مررنا هذه الليلة بجزيرة بيريم . في نهار الاحد ١٣ ابريل استمر الهواء عليلاً وفي الساعة الثامنة صباحاً أقام القسيس صلاة الكاثوليك في الصالون وفي الساعة العاشرة ونصف دق الناقوس الكبير بالباخرة دق الكنائس فنزل السواح للصالون الكبير المعد للطعام وأقام قسيس آخر صلاة البروتستانت وبعد ذلك مر بجميع السائحين خادم يحمل صحناً لجمع نقود باسم الكنيسة .

قد أخرجنا الهواء الشديد في سيرنا ساعتين عن ميعاد وصولنا الى عدن التي وصلناها الساعة الثانية عشر والدقيقة ٤٥ ولا تكسو هذه السواحل أى خضرة إنما ترى رمالا صفراء وصخوراً سوداء ومدخل الميناء صعب لعدم العمق الكافي فكانت تسير الباخرة ببطء وكما دار المحرك « الرفاص » اخرج الرمال من قاع البحر الى سطح الماء ، رسينا أمام ميناء عدن والبلدة مقامة على صخور سوداء ووراءها ثلاث قمم جبلية بركانية قديمة ويبلغ سكان مدينة عدن نحو أربع واربعين الف نسمة ومساحتها ١٣ ميل مربع وبها خط سكة حديدية صغيرة توصل لبلدة اسمها لحج على مسافة ٢٥ ميل والى بلدة أخرى تسمى هاييل على مسافة ٣٠ ميل وهذه البلاد بما فيها عدن وجزيرة بيريم تابعة فى ادارتها لحكومة بمباى وعدن هى النقطة المستحكمة الوحيدة بين مصر والهند ونقطة اتصال بالهند ويتبين للرائى من الباخرة انها نظيفة وان الحكومة الانجليزية صرفت كثيراً من المال لتقييم فى بقعة جبلية صخرية ميناء مهمة كعدن بها كل ما يلزم للموانى العصرية وبعدن جملة



مصارف وفندق كبير وبيت المحافظ الانكليزي وتلغراف لاسلكي
 وثكنات عسكرية واستحكام وخزانات للمياه المستحضرة من البحر
 بواسطة الكنداسا خلاف الخزانات الموجودة بالجبال لحجز مياه
 الامطار لأهالي المدينة ويوجد فنارات عديدة بالجزيرة التي أمامها .
 الحالة الصحية جيدة خالية من الحميات اذا استثنينا ما يحصل أحياناً
 من شدة الحر . ليس بعدن رصيف لمرسى البواخر بل تبقى راسية
 بالقائها « الهلب » وقد القيناه الساعة الواحدة بعد الظهر تماماً بجوار
 سبع سفن كانت موجودة وبعد اجراء الرسميات المعتادة جاءت عدة
 زوارق الأهالي عليها بضائع يسيرها عبيد من السواحلية ومما يدمو
 للتسلية أنهم كانوا يبيعون ما عندهم من الاشياء الخفيفة بواسطة رمي
 طرف من الحبل إلى الأعلا للسواح على ظهر الباخرة والطرف الآخر
 يمسكه البائع في زورقه وبوسط الحبل زمبيل مربوط توضع فيه الحاجة
 فيأخذها السائح بعد أن يجذب الحبل اليه ثم يضع بالسلة ثمن ما اشترى
 ويلقيه للبائع . نزل بعض السواح للفسحة بالبلدة ، وكان العبيد يبيعون
 أنواع السجاير والدخان ومقاطف بغطاء مصنوعة من القش الملون
 كصناعة السودان وبعض الباعة يهود يلبسون الطربوش وهم يبيعون
 ريش النعام وعقود الكهرمان المصنوعة بأوربا ، وبعض الأقمشة الحريرية
 الهندية يبيعها الهنود ومن الاشياء المشهورة بها عدن قرون الحيوانات
 وأنياب الاسماك ومن الاشياء المسلية وجود أولاد صغار من العبيد
 والسواحلية نحيفي الاجسام يلقون بأنفسهم في الماء من الباخرة فيغوصون

ثم يظهر ون على سطح الماء وييدهم قطع النقود التي كانت تلقى لهم في البحر من السائحين وكنتم أظن قبل رؤية هؤلاء أن أولاد نابولي بايطاليا هم الذين فاقوا بمهارتهم في هذه اللعبة ولكن وجدت من هؤلاء ما يفوق الآخرين . اقربت من الباخرة معونة مملوءة بحقائب البريد الى غرب أفريقيا وجنوبها ومعونة أخرى فارغة لتفريغ البضاعة من الباخرة وقد قام بهذا العمل جماعة من اهل اليمن عليهم رئيس منهم وكان المقرر أن نمكث ثلاث ساعات ولكن تأخرنا لمجيء شحنة كبيرة من الملح الى ممباسا وبما أن أجرة نقلها تقرب من مائة جنيه فضل القبطان أن يحملها على الباخرة وهذا الملح موجود بضواحي عدن بكثرة ووفرة ومعدوم في جنوب وغرب أفريقيا والهند ولذا يصدر بكميات عظيمة من عدن الى تلك الجهات والتاجر الكبير المشتغل بذلك يعرف بالملا حاج عبد الله .

بعد الغذاء اذن للباخرة بالصعود الى الباخرة لبيع ما عندهم للمسافرين . لا يوجد بعدن حمامات بحر وذلك لوجود وحوش كالخوت بمياهها ومما يبعث للتسلية محاربة الطيور للاسماك على سطح الماء وذلك ان فوجاً من السمك يظهر عند ما يرى قليلا من الطير يسبح على سطح الماء ويأخذ عندئذ في الوثب والقفز فتصيح الطيور ويلحق بها عدد عظيم من جنسها لمطاردة السمك الذي يفوص ويظهر ثانياً وهكذا يستمر ذلك النضال أو المداعبة بين سرب من الطيور والاسماك .

أذرت الباخرة بصغيرها مغادرة الميناء في الساعة السادسة مساء



فأبحرت بنا الى جنوب أفريقيا والمسافة من بور سعيد الى عدن هي
ثلاث الطريق وكانت الحالة بحمد الله على ما يرام ولكن بمناسبة شدة
الهواء الذي ابتدأ بعد عدن أشاع بعضهم أن الرياح البحرية المسماة
بالموسون ابتدأت قبل شهر من أوانها فأزعجنا ذلك الخبر لما هو معلوم
من خطر تلك الرياح والعواصف وما تنذر به من هول وشدة فسالنا
القبطان عن ذلك لنتبين حقيقة الخبر ولكنهم طمان قلوبنا بتأكيده
لنا أن لا صحة لذلك فقضينا ليلتنا متمتعين بنوم هادى.

(يوم ١٤ ابريل) وكان الاثنين من أيام الاسبوع ، طلع علينا
صبحه بجو لطيف وبحر هادى وفي الساعة الثانية بعد الظهر رأينا جزءاً
من ساحل الصومال الايطالى وتقابلنا بسفينة تجارية ويقال أننا سنمر
في منتصف الليل برأس غاردفوى وهى القطعة البارزة من ساحل أفريقيا
الى الجهة الشرقية فى المحيط الهندى ويوم ١٥ ابريل لم يقل عن سابقه
حسناً جواً وبحراً ومضى النهار والمسافرون يتبارون فى العاب
خصصت لها جوائز ورأينا فى الليل سفينة أخرى . يوم ١٦ ابريل لم
يختلف عن يوم ١٥ فى حالة الجو والبحر ولكننا بعدنا عن الشاطىء ولم
نعد نر منه شيئاً وفى المساء أقيمت حفلة « بالو » للرقص بملابس غريبة
« Fancy dress » واستمر ذلك الى منتصف الليل «يوم ١٧ ابريل» لا يختلف
الجو عن اليوم السالف كما أننا لم نر شيئاً من الشاطىء وبعد الظهر مرت
الاطفال على سطح الباخرة بملابس هزلية مضحكة وفى الساعة السادسة
ونصف مساء ظهر الاب « نبتين » ذو الاحية البيضاء الطويلة كما اقتضت

العادة ظهوره عند الوصول الى خط الاستواء وهو يمثل إله البحار في زيه التقليدى ويحمل تاجه وصولجانه ومر بالصغار يداعبهم ويلاعبهم ، وبعد طعام العشاء فى الساعة الثامنة ونصف وزعت الجوائز على الرجال والسيدات الذين برعوا فى تفنن الملابس فى الليلة الماضية وعلى الفائزين فى الالعاب الرياضية ومسابقته وبعد ذلك صدحت « كونسرت » من ثلاثة رجال وثلاث سيدات بالالخان الشجية .

(يوم ١٨ ابريل) لم يستجد شىء فى حالة الجو والبحر خلا ماتساقط من الرذاذ القليل وبما أن اليوم هو آخر يوم للوصول الى ممباسا التى سيفارقنا فيها كثير من السواح تجدهم فى حركة لاعداد امتعتهم السفرية، وصلت الباخرة فى الساعة الثالثة صباحا قبال مدخل ممباسا ووقفت للساعة السادسة والنصف حتى تهدأ حركة المد والجزر لتتمكن من ولوج الميناء ونزل اثناء ذلك مطر غزير رطب الجو ثم دخلت الباخرة الشواطىء فى هذه الجهة تختلف كثيراً عن كل الشواطىء التى مررنا بها اذ الارض كلها مغطاة بالخضرة والاشجار الكثيرة التى أغلبها من شجر جوز الهند رمز بلاد خط الاستواء، وممباسا واقعة على ٤ درجات من خط الاستواء جنوبا وعلى ٣٩ درجة من خط الطول شرقا وهى الميناء لمستعمرات كينيا واوغندا التابعة لانجلترا قائمة على جزيرة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميلان وبها ٧٠٠ من البيض الأوروبيين و ٣٦٠٠٠ من اهالى وشرقيين وهى على بعد ٣٠٦٦ ميل من بورسعيد صرف نحو مليون جنيهه فى عمل رصيف مينائها المهمة المسماة كلندنى .



عند وقوف الباخرة وبعد الاجراءات المعتادة نزل السواح القاصدون المستعمرات الداخلية ويبلغ عددهم نحو مائة وعشرة بين رجال وسيدات . بالميناء محطة السكة الحديدية والجمارك ومخازنها وتستجلب المياه الى المدينة من مسافة بعيدة من جبال نائية . نزلنا من الباخرة نحو الساعة التاسعة والدقيقة خمسة واربعين ومررنا من وسط الجمرك وأخذنا سيارة فورد اتفقنا مع سائقها على ساعة زمن لرؤية البلد وما فيها . وجدنا الطرق فسيحة ومرصوفة بالمسكدم ونظام السير من اليسار كما هو في لندن . كان الطريق الموصل الى المدينة جميلا لوجود الاشجار المختلفة على جانبيه ومما أدهشنا ضخامة أشجار المنجيه وشجر البواب وهو كثير ببلاد السودان ، كل المنازل محاطة بالبساتين وقد اشترينا في طريقنا مناظر كارت بوستال لارسالها لاخواننا بمصر ثم مررنا بالحى الموجود به الثلات الصغيرة ومررنا بالطريق الممتد على ساحل البحر . يوجد بمباسا محكمة انجليزية ومحكمة شرعية اسلامية تحت سلطة الوالى المعين من قبل سلطان زنجبار الذى احتفظ في معاهدة بينه وبين انجلترا بسلطته في منطقة الشاطىء على اتساع عشرة أميال فى الداخل . يوجد بالبحر كثير من المرجان واغلب المباني مبنية بالحجر الداخلى فيه المرجان وذلك بعد حرقه وجعله ترابا ثم قوالبا كالحجر المعروف فى مصر بالثلاثات ، ومباساهى رأس السكة الحديدية الموصلة الى الاقطار الداخلية . بعد الظهر فى الساعة الرابعة ونصف ركبنا زورقا الى الساحل واخذنا سيارة لمشاهدة ما يستحق الرؤية وكان بعد ظهر يوم سبت



فوجدنا الحوانيت الافرنجية مغلقة كما هي العادة بانجلترا فطلبنا من السائق أن يطوف بنا الاحياء الاهلية فررنا أولاً في شارع نظيف منتظم يسكنه تجار الهنود وخصوصاً الاغنياء منهم واكثرهم يجترفون الصياغة وبعضهم يبيعون الحرائر والأقمشة، وقد لاحظنا أن كثيراً من المنازل القديمة لها أبواب من الخشب مزينة بمسامير كبيرة من الحديد والنحاس وقديماً كانت صناعة الأبواب هذه معروفة ببلاد العرب وانتقلت الى بلاد الأندلس وقنيسيا وغيرهما من البلاد التي دخلها العرب ومن هناك مررنا بشارع آخر اغلب تجاره من السواحلية وبضاعتهم عبارة عن عطارة ومناديل ملونة كبيرة واقمشة ذات ألوان ظاهرة وقد رأينا مسجدين في طريقنا وبآخر البلدة توجد مساكن العبيد الذين هم أهالي تلك الجهة الأصليين ثم خرجنا الى خارج البلدة من طريق فسيح به أشجار كبيرة وارفة الظل حتى تعمس علينا أخذ مناظر بالفوتوغرافية وبعد أن سرنا مسافة طويلة وصلنا الى فندق على شاطئ البحر حيث ابتداء الطريق المرصوف بالمسكدام وقد يخيل للإنسان أنه يسير وسط حدائق أوروبا الكبيرة الجميلة الى أن وصلنا أمام سوق الخضار والفواكه التي يوجد أغلبها بمصر وليس منها ما يستحق الذكر وقد مررنا بمنزل رجل سواحلي غني مكتوب على بابه آيات قرآنية ووجدنا الشارع الكبير مزدحماً باناس من مختلف الاجناس والبااعة على جانب الطريق بمروضاتهم الزهيدة

استلقت نظرنا في طريقنا زنجي مقبوض عليه يسوقه جنديان



مسلحان وهو يحمل متاعه على رأسه ولعل ذلك لعدم دفعه القيمة المعلومة المفروضة على كل انسان من الاهالى يؤديها سنويا وذلك لان الاهالى يقنعون بالقليل من نبات الارض ويكتفون بما تجود عليهم به الطبيعة من مختلف النبات والحيوان فلا يشتغلون ولا يكلفون انفسهم عناء العمل ولذا وضعت الحكومة هذا القانون لتجبر الاهالى على السكد والعمل فجعلت على كل عبد أو زنجى أن يؤدى للحكومة ثمان شلنات سنويا كضريبة شخصية وعلى كل عربى أو سواحلى قيمة جنيه

مضى الليل وقد امطرت السماء قليلا وفي يوم ٢٠ ابريل كان الصباح أدفأ بقليل من الامس وحيث أن تفرغ البضاعة يسير ببطء عدل الربان ميعاد السفر فبدل ان كان الساعة الخامسة بعد الظهر جعله صباح اليوم التالى وضمن ما شاهدناه من البضاعة التى كانت تفرغ من الباخرة نحو ٥٣٠ صندوقا تحوى نقودا مرسله الى حكومة كينيا وفى الساعة الرابعة والنصف مساء دعانا القبطان لعمل فسحبه بموتوربوت لرؤية ما حول الميناء وحول جزيرة ممباسا فررنا أولا بجانب الرصيف الذى يعدونه لمرسى البواخر وقد فتحت الحكومة اعتمادا لذلك بمبلغ مليون ونصف من الجنيهات ثم مررنا بجهاز كبير من الحديد يشبه الكبارى لنقل الصودا من المعمل الى المراكب وهذا تابع لشركة الصودا هناك ثم مررنا تحت كبرى السكة الحديدية الموصل بين الجزيرة وأرض القارة الافريقية فشهدنا مناظر جميلة فوق التلؤل والاراضى التى تكسوها الغابات الخضراء وشهدنا كثير من البيوت التابعة للاوروبيين

يحوطها كثير من اشجار جوز الهند ثم مررنا بلوكاندة تودور ووصلنا ميناء ممباسا ورأينا منظر البلدة من البحر وما بها من منازل متوسطة ضمنها بناء كبير عليه مسحة من الجبال عامنا أنه أقيم بواسطة أحد اغنياء الهنود لجمعه مدرسة ولكنه أهمل اليوم فهو غير مستفاد به، وعلى الاستحكام القديم علم امر هو علم ملك الزنجبار وكان بالميناء ثلاثة مراكز تجارية صغيرة لنقل المتاجرين الشواطىء وهى تابعة لاحد الهنود وقليل من السنوك ولما وجدنا البحر شديدا وأن الموتور ضعف عن مقاومة الامواج عدلنا عن اتسام الطواف حول الجزيرة ورسينا على مرسى للجمرك لناخذ من هناك سيارة الى ميناء كلندنى الموجودة بها باخرتنا فررنا من شارع فى آخره النادى الانجليزى ودعانا القبطان لدخوله فها كان أعظم سرورى برؤية الحديقة الصغيرة التابعة للكلوب لما فيها من عشرة أجناس من شجر الكروتون الذى كان جميلا فى لونه غريبا فى حجمه اذ كان منه ما يقارب حجم شجر النارج الكبير ولا عجب فى اهتمامى بذلك فانى من المولعين بالنباتات وكنت أظن أن مارأيته بالاسكندرية من اشجار هذا النوع هو أجود ما يكون ولكن فى الحقيقة لانسبة ولا تشابه بين هذا الذى رأيتيه فى ممباسا وبين الذى رأيتيه بالاسكندرية ثم غادرنا الكلوب وانا معجب بما تتجسم فيه قدرة الخالق عز وجل ثم عدنا بالسيارة الى الميناء ومنها الى الباخرة، وقد حضر اثناء ذلك أربعون سائحا وكان ينتظر وصول ثلاثين غيرهم يوم ٢١ ابريل قمت فى الصباح مبكراً لأرى خروج الباخرة من

الميناء وكذلك المناظر التي بالشاطيء ولكن تأسفت جداً لما علمت بتأجيل سفر الباخرة الى الساعة الرابعة بعد الظهر . قامت الباخرة في الساعة الخامسة بعد الظهر وعند خروجنا من الميناء كان البحر مخيفاً والهواء شديداً وخفنا أن تزداد الحالة في الليل اذ لا يمكننا الدخول الى ميناء طنجة الا في الصباح لان قله عمق المياه في مينائها لا يسمح للباخرة بسهولة المرور لوجود مرتفعات من الرمال تحت سطح الماء . يوم ٢٢ صباحاً في الساعة السادسة رأينا الشاطيء وفي الساعة السابعة كنا بين جزائر وفي منتصف الساعة الثامنة حيث كنا أمام ميناء طنجة القينا « الهلب » ان طنجة ميناء ولاية تنجانيكا تشبه الموانى الاوروبية الشمالية فنزلها على النسق الافرنكى وهى واقعة جنوب خط الاستواء بخمس درجات وعلى بعد ٧٣ ميل من زنجبار ويبلغ سكانها أحد عشر الفا من الاهالى ومائتان من الأوربيين وهى واقعة على مصب نهر سيجى . انشئت هذه البلدة بيد الالمان كذا ما بها من مستشفى كبير وحادثة عمومية للترهة وشارع كبير على النسق الأوروبى وقد هاجمها الانجليز سنة ١٩١٤ في شهر نوفمبر ولم تؤخذ تماماً الا في سنة ١٩١٧ ومن ذلك العهد صارت تحت حمايه انجلترا . تمتد من طنجة الى الداخل سكة حديدية الى مسافة ٢٢٠ ميل لبلدة تسمى موشى الواقعة باسفل الجبل المسمى كليمانجارو اعلا جبال افريقيا حيث يبلغ ارتفاعه ١٩٣٠٠ قدم في الاراضى المستوية من تلك الجهات يزرع السمسم ويستخرج السكاوتشوك والصبغ وفي الاراضى المرتفعة يزرع شجر القهوة . تختلف

الى تلك البلدة ثمانية من الركاب وحضر الى الباخرة للسفر ستة من السواح بينهم انجليزى يشتغل بالسينما لأخذ مناظر البلاد المتوحشة ومناظر صيد الحيوانات الوحشية وقد تعرفت بمكاتب حربى انجليزى لاجرائد كان مرافقاً لنا من ممباسا وقد اشتغل مدة الحرب وبعدها بمراسلة الجرائد عن حالة البلاد الاسلامية والشرقية وقد جال بلاد العجم وبغداد والاستانة

غادرنا طنجة فى الساعة الحادية عشر صباحا الى زنجبار والسماء تمطر والبحر ثائر وبعد ما سرنا قليلا مر علينا سحاب مظلم كثيف وصار يهطل بشدة كما هى الحالة فى جهات خط الاستواء ثم انتهى بعد نصف ساعة وفى الساعة الثالثة بعد الظهر كنا تجاه شمال جزيرة زنجبار نسير على مقربة من الشواطىء الخضراء فررنا بجزيرتين وشاهدنا قصره له برج علمنا انه مصيف سلطان زنجبار بقرب قرية تسمى بوبوبو متصلة بالعاصمة بسكة حديدية ضيقة ويبلغ طول هذا الخط الوحيد بالجزيرة ثمانية اميال وهو تابع لشركة امريكية وفى الساعة الخامسة والنصف مساء دخلنا ميناء زنجبار والقيينا «الهاب»، وهذه الجزيرة الصغيرة واقعة فى جنوب خط الاستواء بسبع درجات وتبلغ مساحتها ٦٤٠ ميلا مربعا ويتبعها جزيرة فى شمالها تسمى بمبه مساحتها ٣٨٠ ميلا مربعا ويبلغ تعداد سكان الجزيرتين مائتان وعشرة آلاف نسمة وعليها سلطان تحت حماية انجلترا

ان غروب الشمس فى تلك الجهة لما يسحر الانظار وذلك أن



الشمس بميلها تعكس ضوءا جميلا على شرق الجزيرة وكأنها بستان واحد اقامته الطبيعة فيرى الناظر الاشعة الذهبية تملو اللون الاخضر الجميل مما يسر العين ويعجز اللسان عن وصف جمال الطبيعة الزاهية ، صنع القدرة المتجلية .

نشاهد امامنا بالجزيرة سراى السلطان والجرك ودار المحافظة ومباني أخرى كثيرة ولما كان وصولنا قبل الغروب امكن انجاز الاجراءات القانونية العادية عند وصول البواخر وبذلك غادر الباخرة كثير من الهنود والزنج وقليل من السواح . يوم ٢٣ ابريل كان الجو حارا فى الصباح وقد اعد لنا القبطان زورقا ليوصلنا الى الشاطئ واستحضر لنا عند نزولنا سيارة وترجمانا وقد تركنا الباخرة وازدحم عليها كثير من الباعة الهنود بمتاجرهم الهندية . مررنا بالسيارة من شوارع البلدة وهى طرق ضيقة الا انها كانت نظيفة فررنا امام البوستة ودار المحكمة وحديقة الزهرة والمقابر القديمة من عهد العرب وكنا قاصدين كفر بوبو فمررنا بجملة كفور ومساكن الزنوج فى وسط اشجار عالية من جوز الهند والمنجة وقد لاحظنا أن العساكر والبوليس ومعظم الاهالى كانوا يلقون اشارة السلام محيين من كان راكبا سيارة من الاجانب ورأينا نساء الزنوج يحملن اولادهن بوثاق الى ظهورهن ، وللاهالى عربات صغيرة للنقل تجرها ثيران لها اكتاف مسنمة ولكنها نحيفة الجسم صغيرة الحجم . الطرق خارج البلدة واسعة ومرصوفة بالمكدم تضاهى احسن طرق اوروبا ، على جوانبها الرياض والبساتين

وكانها كلها حديقة غناء، ومما استلفت نظري أن الدجاج والديوك كبيرة الحجم مثل التي يربئها بعضهم في مصر للمضاربة وقد سرنا الى أن وصلنا مزرعة شجر القرنفل ثم عدنا الى البلدة من طريق وسط سوق للاهالى اغلب تجاره من الهنود ثم مررنا بسوق الخضار والفواكه حيث استوقفت السيارة لرؤية موز كبير ادهشنى يزيد طول الواحدة عن ثلاثين سنتى مترفاشتريت ثلاثة منها على عزم أن استحضر منه شتلا الى مصر اذا وجدته حلو الطعم ولكن وجدته عكس ذلك وعلمت أنه يطبخ فيؤكل ثم دخلنا حديقة للنزهة رأينا بها انواعا عديدة من النخيل ودخلنا دكاكين الهنود ولكن لم نجد بها أحسن مما رأينا معهم على الباخرة ثم قصدنا رؤية الجامع الكبير الذى بناه الطيب الذكراغا خان الهندى غفر الله له وهو وجد اغاخا الحالى ويذكر عن ذلك الرجل العظيم أنه أقام ذلك المسجد ومكتبة للهنود وناديا ليجتمعوا فيه ثم قصدنا الشاطيء لنعود الى الباخرة وبينما نحن فى سيرنا اذا استوقفنا رجل انكيزى ليكلمنا فى أمرٍ فوقفنا واذا به السكرتير الخاص لسمو السلطان وقد أخبرنى بوجه بشوش أن سمو السلطان علم بوجودى فى بلاده ولما بيننا من سابق المعرفة يدعونى لمقابلته فأجبتة بقبول الدعوة على أن أحضر لمقابلة سموه الساعة الخامسة مساء. ثم انصرفت الى الباخرة

زنجبار هى نقطة تقابل كل من لهم اشغال تجارية فى شرق افريقيا وبها أناس من كل الاجناس وأغاب تجارتها فى القرنفل وسن الفيل وجوز الهند



حضر في الساعة الرابعة والرابع مساء الى ظهر الباخرة المستر
بتسكوب السكر تير اخاص لسمو السلطان بخطاب من سموه لطيف
العبارة كريم الجمالة يذكر فيه معرفتنا السابقة ويدعوني برقة لتناول
العشاء بعد عمل نزهة وسط حدائق الجزيرة على سيارة سموه فاخذنا
الرفاص وانتقلنا الى الساحل امام القصر فوجدنا السيارة في انتظارنا
على الساحل ولكن لقرب المسافة فضلت المسير على القدم فدخلنا
القصر وقيدت اسمي في سجل اعد لذلك وصعدت ساعاً رأيت في نهايته
سمو السلطان مع نجله في انتظاري مرتديا ثوبا عربياً جميلاً فسلم علينا
بشاشة واحترام ثم ادخلنا الى صالة كبيرة بها الكرسي السلطاني الكبير
ودونه من الامام سجادة كبيرة مشغولة بالقصب وبالغرفة مرآتي
كبيرة مذهبة وتحف كثيرة وشبابيكها واسعة عظيمة فبعد ان تبادلنا
التحية وتكلمنا برهة قصيرة دعاني للنزول معه للنزهة بالسيارة فوجدته
لطيف الحديث يتكلم العربية الفصحى وكنت لابساً طربوشى وكان
الناس يهيمون لتحية سموه بكل احترام ويقال انه محبوب من رعيته
لما له من صفات الابوة نحوهم وقد مررنا في طريقنا بعربات عليها هنود
فاستوقفوا عرباتهم وقاموا للتأدية واجب التحية والتعظيم ثم وصلنا السراى
المعدة لمصطافه وهى تطل على منظر جميل من الميناء والبلدة، والصالة
الكبيرة مفروشة بأثاث هندي وبها عدة صور فوتوغرافية ورسومات
وبعد برهة وجيزة رجعنا الى البلدة وقد ألح سموه بكرم في الدعوة لقبول
تناول العشاء معه في الساعة الثامنة والنصف وبعد ذلك ودعته لأترك بطاقة

الزيارة للحاكم الانكليزي كما تقضى به اللياقة لاسيما وانى زرت سمو السلطان وكنت لابساطر بوشى فى تلك الزيارة وصرت معروفًا بصفة رسمية فوجدت للحاكم الانكليزي بيتًا عظيمًا بحديقة كبيرة جميلة على جانب من النظافة وحسن الترتيب ومن هناك عدنا الى الشاطيء فرأيت أن المسافة الى الباخرة بعيدة وان الزوارق المعدة للنقل ليست على ما يرام ولما لم أعود التأخر فى الليل بل اعتدت الذهاب الى مضجعى مبكرًا ورأيت أن فى الذهاب لتناول طعام العشاء مع سموه فيه من التعب ما فيه كلفت سكر تيرى الخاص احمد افندى مختار أن يذهب مع المستر بتسكومب سكر تيرى سموه لتقديم شكراتى واعتذارى مع الاسف الشديد فى عدم امكاني الحضور ليلا راجيا اهدائي صورة سموه الفوتوغرافية كتذكارة، ثم عدت الى الباخرة بمفردى وفى الساعة السابعة والنصف مساء عاد سكر تيرى ومعه صورة سموه الفوتوغرافية فبعثت الى سموه خطاب شكر من الباخرة. واذكر بالمناسبة عادة فى زنجبار وهى ان يطاق دائماً فى الساعة الثامنة مساء طلقة مدفع مثل ايام رمضان بمصر. فى يوم ٢٤ ابريل الساعة الثالثة صباحا ابجرت الباخرة من الميناء وفى الساعة السابعة والنصف صباحا رسينا أمام ميناء دار السلام والضيق بوغاز الميناء وقلة عمقه السكافي قابل الباخرة رئيس البوغاز وصعد اليها ليقودها الى المدخل وقد مررنا بالبوأخر المغرقة فى الميناء وكان قد أغرقها الالمان فى بداية الحرب لمنع دخول أساطيل أعدائهم ثم رسينا بالميناء وهى تشبه من جميع الوجوه البلاد الافرنجية، بها كنيستان احدهما لابر وتسماتان



والأخرى وللكاتوليك فبعد أن حصلنا على جواز للنزول من قومندان البوليس وبعد اتمام الاجراءات العادية نزلنا الى زورق ومررنا من الجمرک حسب العادة . تلك المدينة على مسافة ٤٨ ميل من زنجبار وكانت عاصمة مستعمرة ألمانيا بشرق افريقيا وهي الآن تابعة لانجلترا ، بها ٦٠٠ من الافرنج وأهلها ستة آلاف وبها ألف ومائتان من الجنود السود والذي بدأ انشاء هذه البلدة هو السلطان السيد نجيب سلطان زنجبار في سنة ١٨٦٢ ولما تركها في سنة ١٨٨٧ جاءها رجل ألماني يدعى كارلبتس وبعد وصوله بستينين أرسلت الحكومة الألمانية قوة عسكرية واحتلت البلدة وأعلنت امتلاكها . توجد سكة حديدية توصل منها لغاية بحيرة تنجانيسكا وطول الخط ٧٨٠ ميل ، وهذه البلدة تنقسم الى ثلاثة احياء قسم للافرنج وقسم للأهالي وقسم للجنود المعسكرة فالقسم الأفرنجى تحترقه طرق جميلة تحفها أشجار من الجانبين وبه منازل كبيرة وفلات جميلة صغيرة ويوجد بها أيضاً فندق كبير ولعدم وجود سيارات أخذنا من الشاطىء عربتين ركشا كالموجوده ببلاد اليابان والصين وهي عربة خفيفة بعجلتين يجرها رجل وأحياناً يساعده آخر من الخلف وأخذنا معنا ترجمانا من الاهالى ومررنا من بستان الى منزل الحاكم ثم مررنا بالمستشفى الكبير كالموجود بطنجه وهذا مما كان يهتم به الألمان حيث أن أكبر المباني فى هذين البلدين هي الاستشفيات ثم مررنا بالقسم الأهلى ومنازله عبارة عن أكواخ نظيفة تفصلها عن بعضها طرق واسعة منتظمة وكل هذا على حال تلامم الصحة ثم عدنا الى



الباخرة ولم نزل بعد الظهر . أبحرنا من الميناء في صباح اليوم الثاني الموافق ٢٥ ابريل الساعة السادسة والنصف صباحا وكان البحر هائجا شديد الأمواج والهواء عنيفا يواجهنا والمطر غزيراً بين آونة وأخرى وحر مناوئية الشمس طول هذا اليوم . في يوم ٢٦ ابريل كان الجو بارداً والبحر مثله بالأمس وفي الساعة السابعة صباحا مررنا أمام رأس دلجادو حيث ابتداء حدود مستعمرة البرتغال وكنا نرى الساحل طول النهار ومررت في طريقنا باخرة واحدة وكان الجو معتدلاً ولكن هطل في الليل مطر غزير . في يوم ٢٧ ابريل صباحا كنا في بوغاز موزنبيق التي كانت عاصمة مستعمرات شرق افريقيا البرتغالية وهي على ١٥ درجة من جنوب خط الاستواء وهي ميناء مهمة بها فرعان للتغراف البحري أحدهما فرانسواي متصل بجزيرة مدغشقر والآخر انجليزى متصل بالجزائر الانجليزية وعدد أهلها ٤٥٠٠ نسمة ويوجد فيها ثلاثمائة أوروبى . الميناء واسعة جداً وهي منذ سنة ١٥٠٨ مركزاً للحاكم البرتغالى ورغمما عما فقده البرتغاليون في حروبهم العديدة أمكنهم أن يحتفظوا بتلك الجهة وتلك الميناء وبقت تحت حكمهم وضمن مستعمراتهم . الميناء مقفولة من الخارج بجزيرتين والبلدة بها مباني قديمة جميلة والطرق مبلطة بالحجر وبها أبواب قديمة أثرية وشبائيك حديدية من بقايا القرن السادس عشر موجود عليها بدل الزجاج قبل استعماله شىء مصنوع من الطبخ يشبه الورق الشفاف ويسمى ميكا، وبالبلدة استبتالية كبيرة بسور ودار للمحافظة ومدرسة للجزويت ودير للرهبان ، وأهم



ما يستلفت النظر في تلك الميناء والقلعة القديمة وهي محاطة بسور يبلغ ارتفاعه ٣٥ قدماً وقد شيدت فيما بين ١٥٠٨ و ١٥١١ ميلادية ، جلبوا لبنائها حجارة كبيرة من بلاد البرتغال على مراكب شرعية وتلك المسافة تبلغ ٨٠٠٠ ميل وفي هذا مفخرة عظيمة تظهر قوة عزم أمة البرتغال في ذلك العصر عصر قوتها ومجدها . دخلنا الميناء في الساعة السادسة والنصف صباحاً وفي الساعة السابعة جاء موظفو الميناء والصحة لاجراء الرسميات المعتادة وقد أحاط بالباخرة زوارق زنوج يبيعون أنواع القواقع والعصافير والنسانيس والمراوج . تخاف في تلك الميناء اثنان من السواح وجاء خمسة جدد

يوجد بمياه الميناء أسماك كثيرة كبيرة رأيناها تتسابق وتقفز من المياه لتلتقط قطع الخبز التي كانت تاتي وقد غادرنا موزنيق الساعة العاشرة صباحاً

عند خروجنا من الميناء كان قد هدأ البحر فحمدنا الله على ذلك وقد مر بنا سمبوق يحمل العلم الانجليزي ومن سماء من به عرفنا أنهم من اليمن أو عدن . بعد الظهر اشتد الهواء وهطل المطر كالمعتاد وفي يوم ٢٧ كان البحر شديداً والجو بارداً ولا يوجد ما يهيم ذكره طول هذا اليوم سوى أنه قبل غروب الشمس رأينا مئات من الاسماك الكبيرة على سطح المياه . يوم ٢٨ كان البحر عالي الامواج والشمس ساطعة وبعد نصف الليل كثر اهتزاز الباخرة لشدة الهواء والامواج وفي صباح يوم ٢٩ كان البحر هادئاً والجو معتدلاً نرى الشاطئ



الذى فارقناه بالامس ومررنا فى الساعة التاسعة صباحا برأس كورياتس وكذلك فى المساء كان البحر هادئا وبما أننا كنا على مقربة من ميناء لورينسو ماركيس ولا يمكننا دخول الميناء الا فى النهار ، أمر القبطان بتقليل سرعة السير الى ثمانية أميال فى الساعة وفى صباح يوم ٣٠ ابريل الساعة الخامسة كانت الباخرة راسية فى الميناء تنتظر رئيس البوغاز وفى الساعة السابعة صباحا كنا ننتظر الاذن للمرسى على الرصيف وكان يوجد بالميناء ثلاث بواخر وأتى دور باخرتنا فرست على الرصيف فى الساعة التاسعة صباحا وفى الحال جاء (ضابط برتبة يوزباشى) وهو ياور لحاكم المنطقة أفهمنا أنه جاء من قبل الوالى لاستقبالنا وان سيارة الوالى تحت تصرفنا فررنا من الجمرک دون تفتيش أمتعتنا حيث كانت أعطيت الاوامر بذلك من قبل الحاكم العام البرتغالى وكان قد حضر أيضا رئيس ادارة كوك بجوهانسبرج لملاقائنا بأمر من المستر فرنك كوك وحضر كذلك مدير اللوكاندة لمباشرة نقل أمتعتنا ولترحيب بنا وكان ذلك كله من أوفر الاكرام فى سياحة غير رسمية بدأتها باسم مستعار ولكن لم يكن بد من قبول تلك المجاملات الكريمة لان الرفض غير ممكن ويعد مؤلما للعواطف

وفى الساعة التاسعة صباحا تركنا الباخرة نورمان بعد سياحة دامت أربعة وعشرين يوما كان فى خلالها القبطان وجميع موظفى الباخرة يعاملوننا بكل احترام مراعين راحتنا فودعناهم شاكرين وفى



طريقنا بالمدينة كان البوليس والملكيون يلقون اشارة السلام والتعظيم
حيث كنا راكبين سيارة الوالى

الطرق واسعة ونظيفة مفروشة بالمشكدة والاسفلت ، وبعد
عشر دقائق من مغادرتنا الباخرة وصلنا الى لوكاندة عظيمة على ربوة
جميلة وهى تضاهى أكبر لوكاندات أوروبا وبها جميع وسائل الراحة
الحديثة قد شيدها أحد أغنياء الترنسفال لان مدينة لورينسو ماركيس
ولو أنها برتغالية الا أنها تعد ميناء مهمة للترنسفال وفى الساعة الثانية
والنصف بعد الظهر جاء الياور بالسيارة حيث ذهبنا لزيارة الوالى ولما
وصلنا الى الباب الخارجى أدى قره قول الحرس التحية العسكرية لنا
ثم دخلنا وصعدنا الى الغرفة فقابلنا الوالى باحترام وبشاشة ولعدم المامه باغة
من اللغات الاجنبية التى تعلمها صار الياور واسطة التفاهم بيننا وقد قال
لنا الوالى فى كرم ومجاملة شرقية بوداعة تشبه المجاملة الشرقية « أن
اعتبروا أنفسكم فى بلادكم » وبعد قليل ودعنا وشكرناه على جميل ترحابه
وكريم لقائه ثم عدنا الى اللوكاندة

لورينسو ماركيس صارت عاصمة لمنطقة الموزنيق منذ سنة ١٩٠٧
وهى واقعة على ٢٧ درجة جنوب خط الاستواء بها ستة آلاف من
البيض بينهم سبعمائة انجليزى وثلاثة عشر الفاً من الالهالى ويوجد بها
أيضا كثير من الهنود المسامين وبعض من الاروام . يبلغ طول رصيف
الميناء لمرسى المراكب الف وخمسة مائة مترا فيمكن لاثنتى عشرة باخرة
أن تصطف جانب الرصيف وهى تعتبر من أكبر موانى افريقيا الجنوبية

وبحسب التقارير الرسمية دخل هذه الميناء في سنة ١٩٢٢ نحو ٥٢٢ سفينة
 يبلغ حمولة مجموعها ٢ مليون وستمائة الف طن . مررنا بمحطة السكة
 الحديدية فوجدناها كبيرة ونظيفة ومررنا بالكازينو الذي وجدناه
 مغلقاً وهذا الكازينو كان مورد كسب كبير لتلك البلدة حيث كان
 يجلب اليه كثيرا من السواح للمقامرة ولما لم يكن هناك قانون يمنع اهل
 المدينة وموظفيها من المقامرة داخل الكازينو حصل أن خسر كثير
 من الاهالي والموظفين اموالهم وصار كثير منهم بحالة فقر سيئة
 فاضطرت الحكومة اخيراً الى غلقه

يوجد بالمدينة كنائس وجوامع ومساجد ومعبد صيني ويوجد
 بها ترامواي كهربائي وسيارات وأول أوربي اكتشف موقع هذه المدينة
 هو قبطان برتغالي يدعى انطونيو كامبو في سنة ١٥٠٤ ميلادية والمجلس
 البلدي مجتهد في تحسين حالة المدينة

نزلنا الى شاطئ البحر بالسيارة من طريق جميل تكسو جانبيه
 انواع الاشجار والنباتات ورأينا على الشاطئ كازينو به حمامات بحر
 على جانب من النظافة

المنازل اغلبها طابق واحد تحيط بها بساتين وقد مررنا بحديقة
 النباتات التي بها قليل من الحيوانات وابتدأوا بتحسين حالتها ثم دخلنا الى
 شوارع المدينة وبعض الدكاكين وقد دهشنا لوجود مصاحف للبيع في
 تلك الدكاكين الافرنجية ثم مررنا أمام الشكنات العسكرية التي يوجد بها
 أورطة من حرس الجمهورية البرتغالية وبولوك من الخيالة الذين علمناه أنه



لم يبق في حيازتهم سوى سبعة خيول لان معظم الخيل ماتت من عدم
 تحملها الطقس ويوجد ايضا ثلاثة أورط من السود وبطارية متراليوز
 وبطارتين طوبجية ومما عجبنا له في جهات شرق افريقيا على العموم أن
 الاهالى يحبون لبس الطربوش الاحمر الذى كدنا أن نمل لبسه في بلادنا
 لعدم موافقته ولعدم فائدته سواء في الحر والشمس أو في البرد والمطر
 ثم مررنا أمام الاسبتالية الكبرى على مرتفع موافق للصحة خارج
 المدينة وبها ٦٠٠ سرير ثم عدنا الى اللوكاندة حيث كانت الساعة
 الخامسة مساء فوجدنا خطابا رقيقا من ممثل حكومة جنوب افريقيا
 يستعلم فيه عن سفرنا وكان قد وصل خطاب باسم مختار افندى من
 مدير سكك حديد وموانى جنوب افريقيا يخبرنا فيه أنه أعطى أوامراً
 لمن يلزم لضمان راحتنا على جميع خطوط السكك الحديدية ولقد سررنا
 وارتحننا لهذه المعاملة الرقيقة التى تطمئننا بأن السياحة ستكون على
 أحسن مايرام. وفي المساء بعد طعام العشاء اقيم بللو للرقص ووجد الحاكم
 العام الذى تناول الطعام باللوكانده ايضا

يوم أول مايو والفصل فصل شتاء كان الجو جميلاً جداً فانهزت
 فرصة ذلك ونزلت لأمشى قليلاً بقصد الرياضة وفي الساعة الثامنة ونصف
 صباحاً نزلنا بالترام الى شركة الواورات لمشاهدة صورة الباخرة التى
 سنسافر عليها من مدينة السكاب ثم ذهبنا لزيارة ممثل جنوب افريقيا
 فوجدناه رجلاً وديعاً ظريفاً يدعى المستر لنج وبعد عشر دقائق ذهبنا
 مرة اخرى الى حديقة النباتات وحيث لم نجد رئيس الحديقة عدنا وفي

الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا السيارة للتنزه لجهة تبعد ثلاثين ميلا عن المدينة ولكن بعد أن قطعنا جزءا من المسافة في طرق متسعة لم نجد شيئاً من المناظر التي تستحق الاستمرار في سيرنا غير ما نصادفه من بعض الاشجار العادية وبعض مزارع أدره ونساء من الزوج يحملن اولادهن وحوالجهن فقررنا العودة ثم رجعنا الى حديقة النباتات وقابلنا رئيسها الذي علمنا منه أنه لا يوجد بين ما عنده من الاشجار والزهور ما يحتاج اليه لانها من الانواع الموجودة بمصر وقد أخبرنا فقط أن الشجر الذي رأينا منه كثيراً في طريقنا ذى الاوراق اللامعة الخضراء والتي بعضها أحمر اللون هو شجر الكاجو ثم عدنا الى اللوكاندا . وفي يوم ٢ مايو صباحاً توجهنا في الساعة الثامنة ونصف لزيارة مستر هارت مندوب شركة يونيون كاسل في منزله لرؤية حديقته ثم رجعنا لتجهيز أمتعتنا للسفر ولتناول طعام الغداء وفي الساعة الواحدة بعد الظهر ركبنا سيارة ومررنا بمنزل الحاكم العام ترك بطاقة الزيارة ثم الى محطة السكة الحديدية

خطوط السكة الحديدية بجنوب أفريقيا أضيق قليلا منها بأوروبا ولذا تجد طريقة المرور داخل العربات ضيقة جداً أما ديوان الجلوس فعلى حسب العادة من جهة الاتساع وقد وجدنا محلات محجوزة لنا بالقطار وفي الساعة الواحدة والنصف قام القطار ومعنا مندوب من حكومة جنوب أفريقيا لمباشرة تسهيلات المرور بالحدود وبعد ساعتين وصلنا حدود الترنسفال كل ما تراه العين اشجاراً مبعثرة وسط الحشائش



التي تصلح المرعى فهي صالحة لتربية البقر والبهايم وتوجد أيضاً
 أشجار من نوع الصبار وآخر يشبه شجر الدوم
 بدخولنا أراضى الترنسفال من أول الحدود وجدنا فرقاً من جهة
 دقة النظام وجودة الاراضى وثروتها الطبيعية وابتدأت المناظر تتحسن
 وكان القطار يسير بجانب نهر على شاطئه أشجار كبيرة قديمة أما الارض
 حجرية ورملية حمراء من لون الطوب الاحمر كما هي في معظم الجهات
 بشرق افريقيا ولم نجد بمستعمرات البرتغال مزارع عظيمة كالتي ببلاد
 الترنسفال حيث مررنا بكثير من المزارع المنتظمة الشاسعة بها كثير
 من شجر الليمون وشجر الباباز وفاكهته محبوبة في تلك البلاد
 وتوجد أيضاً مزارع القطن وفي المساء رأينا بالمحطات كثيراً من
 الناس ينتظرون القطار ومعهم مصابيح لبعدهم مساكنهم ولعدم
 وجود الاضاءة في الطرق الخلوية وبعده المسافات من بلدة لاخرى مع
 قلة الاهالى

لم نستطع النوم في الليل لهزات القطار العنيفة عند وقوفه وقيامه
 من المحطات وكان القطار يتقف كل ربع ساعة تقريباً في محطة وكان
 البرد شديداً ولما وصلنا بريتوريا علمنا من جرائد جوهانسبرج أن
 تلك الليلة كانت أشد درجة في البرودة منذ أربع سنوات ، وصلنا تلك
 المدينة في الساعة السادسة صباحاً وهي العاصمة الادارية لحكومات
 اتحاد جنوب افريقيا ويبلغ عدد سكان تلك المدينة ٤٥١٦٣ من الجنس
 الابيض و ٢٨٦٠٠ من الزنوج وهي على ارتفاع ٤٤٧٠ قدماً عن سطح

البحر . لم تصل أمتعتنا السفرية من المحطة الى اللوكاندة قبل الساعة العاشرة صباحا لان الجمر ك لا يفتح قبل الساعة التاسعة صباحا وبمجرد وصول العفش غيرنا ملابسنا وتوجهنا لسراى الحكومة وهى على مرتفع خارج المدينة تشبه موضع القلعة فى ارتفاعها بالنسبة للقاهرة وهى بناء ضخم عظيم يليق أن يكون سراى الحكومة وبلغت تكاليف بنائه نحو مليونين من الجنيهات وهذا ليس بكثير بالنسبة لفخامة البناء وثروة البلاد وكنت أود أن أرى مثل هذه الأبنية العظيمة فى القاهرة عاصمة مصر

البناء ذو طابقين موضوع بشكل هلالى من الوجهة ويصعد اليه من حديقة واسعة بدرج يشبه المصاطب ومشى بين الزهور المختلفة الجميلة والنباتات والاشجار اليناعة حولها طرق من الاسفلت توصل الى السراى من طرفيها والترامواى يصل من طريق منخفض عن الطريق المعد للسيارات وكل ذلك بغاية من النظام والاتقان فصعدنا من الطرف الايسر وقصدنا وزارة الزراعة حيث دخلنا عند المستر جرين الذى قابلنا مقابلة جميلة وعرض لى عما أرغب رؤيته والاستعلام عنه وبعد أن تكلمنا عن كل ما يهمنى توجه معى الى مكتبة عظيمة بقسم الزراعة ومن هناك زرت الميجر الكسندر رئيس القسم السياسى التابع لادارة حاكم عام جنوب افريقيا وهو اللورد اتلون وكان قديما يعرف باسم البرنس دوتك وهو شقيق ملكة انجلترا الحالية ولى به معرفة قديمة وجمعتنا الظروف كثيرا قبل ذلك وقد أخبرنى الميجر



أن جناب اللورد يرغب في دعوتي للعشاء دعوة رسمية يدعو فيها نحو أربعين من العظماء والوجهاء بجنوب افريقيا ولكن اعتذرت وتأسفت لعدم امكاني تلبية دعوته للعشاء لاني لم اعد معي ملابس السهرة في هذا السفر ولم أعود الخروج ليلا فطلبت منه أن يعين لي موعدا لزيارة جناب اللورد فوعد أن يخبرني تليفونيا باللوكاندة

وهذا الميجر الكسندر كان بالجيش المصرى يورا للسير ونجت باشا ولما صار السير ونجت مندوبا ساميا في مصر كان جنابه موجودا معه أيضا ولذلك يعرف كثيرا من المصريين وبعد أن رافقنا لمشاهدة الحدائق وعرفنا برئيس قسم النباتات تركنا معه موصيا هذا الرئيس بالاهتمام بكل ما أطلب وقد وجدناه أيضا رجلا مجاملا ظريفا وسألني عن كل ما يهمني من النباتات فقلت له ان كثيرا من الناس يشرون بوجود كثير من النباتات التي أبحث عنها في جهة دربان ولكن علمت منه أن حديقة النباتات هناك قلت أهميتها منذ ضمت للبلدية ثم أخذني لقسم المهرباريوم وهو قسم تجفيف النباتات وقدم لنا رئيس هذا القسم ثم أراني سيدة ترسم النباتات بالبوية بألوانها الطبيعية لانهم يشتغلون الآن بعمل مجموعة عامية لزهور جنوب افريقيا وقد أتوا منها ثلاثة أجزاء ومن هناك توجهنا لرؤية نوع الصبار الذى يهمنى حيث عرفتهم عما أرغب اقتناؤه من هذه الانواع وقد وعدوني بارسال ما طلبته وكان وعدهم صادقا ثم عدنا لتناول الغداء باللوكاندة في الساعة الواحدة وربع بعد الظهر ولم أخرج باقى هذا اليوم لاني صادفت بردا

الزمنى الفراش وفي الساعة التاسعة مساءً أخبر مختار افندى بالتليفون أن الحاكم العام يدعوني لتناول الغداء في اليوم التالي وسيرسل لنا سيارته يوم ٤ مايو صباحاً كان الجو ملاماً والسماء صافية والشمس ساطعة فشيناً في الساعة التاسعة صباحاً على الاقدام ولكونه يوم الاحد كانت الدكاكين معطلة و فقط كنا نرى ما فيها من وراء الزجاج . المدينة مخطوطة على الطريقة الامريكية شوارعها متوازية ومتقاطعة واغلب منازلها بدور واحد وبلكونات أو تندات من الحديد مثل بور سعيد لمنع المطر وحرارة الشمس في فصل الصيف والشوارع نظيفة منتظمة والترامواي ايضاً ومن الغريب أنه في بلد مثل البلاد الاوروبية نرى كثيراً من الزوج لابسين ملابس افرنجية وقبعات واكلهم حفاة الاقدام وقد لاحظنا عربات الاجرة التي تجرها الخيل أردأ حالة من عربات مصر وقد رأينا بالسوق عربات نقل تجرها خمسة ازواج من الثيران أو عشر ازواج من الحمير وذلك لصعوبة الطرق وبعد المسافات أما الخيول فقليلة لانها لا تتحمل المرض بهذه البلاد وفي الساعة الثانية عشر والدقيقة اربعين جاءت سيارة جناب الحاكم العام فأخذت معي مختار افندى ولبسنا الطرايش احتراماً لسمو الاميرة زوجة اللورد الحاكم وقد وصلنا السراى بعد عشر دقائق ووجدنا على باب الحديقة قره قول حرس من الجند اصطف لتحياتنا عند مرورنا وعند نزولنا من السيارة وجدنا السكرتير الخاص لجناب اللورد في انتظارنا فصعدنا الى الدور الاول وقد قابلنا الميجر الكسندر

ثم استقبلني جناب اللورد بغاية من اللطف وبعد حديث دام ربع ساعة صاحبني الى الصالون حيث قابلت الاميرة وهي شقيقة جلالة ملك انجلترا الحالى وكان يوجد أيضاً كريمته وبعض سيدات ورجال فصافحتهم جميعاً ثم دخلنا الى صالة الطعام وهي فسيحة الارعاء مرتفعة السقف كبيرة النواذ مشرحة وكانت سمو الاميرة زوجة اللورد عذبة الحديث بشوشة الوجه لطيفة المحيا وبعد انتهاء الطعام وتناول القهوة ودعوتهم شاكرأ في الساعة الثانية ونصف حيث رجعنا الى اللوكاندة فغيرنا ملابسنا لعمل نزهة بالسيارة لرؤية المدينة وما بها مما يهيم السائح رؤيته وكذلك بالضواحي فرأيت اكبر ميدان به الكنيسة وحوله مباني شاهقة مبنية بالحجر منها سراى الحقانية وعلى بابها حجر منقوش عليه اسم رئيس الجمهورية القديمة الترانسفالية وهو معروف مشهور يدعى كروجر ثم عمارة البوستة وديوان الحكومة القديم وهذه هي المباني الكبيرة الموجودة بالمدينة والشارع المقاطع لهذه المباني هو اكبر شارع بالمدينة يسمى شارع الكنيسة يبالغ طوله ستة اميال ثم مررنا بمنزل الرئيس كروجر وهو اليوم مستشفى ومن الشارع يرى الانسان الغرفة التي كان يسكنها وبها كثير من الاكليل التي ارسلت بمناسبة وفاته تذكراً لوطنيته واعترافاً بفضله ثم مررنا بحديقة صغيرة بها تمثاله وعلى مقربة منها رأينا مدفنه . ثم مررنا بالضربخانة « لصك النقود » وستبدأ صك العملة هذه السنة ، ومررنا بمستشفى المدينة والسجن ، ويوجد ايضاً مستشفى آخر كبير خارج المدينة خصيصاً لمرض البرص



وهو يسع ثلاثة آلاف مريض وذلك لانتشار هذا المرض بجنوب افريقيا ثم مررنا في نزهتنا بجبال ووديان حول المدينة ومرتفع عال اقيم عليه حصن يسمى نمره ٣ يشرف على المدينة ، والمنظر من هناك جميل ، ومما يدعو للغرابة تمكن الانسان من الرؤية على مسافات بعيدة في هذه البلاد مما قد يرجع سببه الى الضوء أو نقاوة الجو فكنا نرى الدخان المتصاعد من معامل جوهانسبرج الواقعة على بعد ٣٥ ميلا . الاراضى ذات هضاب كثيرة مغطاة بالحشائش والارض المنزرعة هي التى فى الوديان

المدينة على النسق الاوروبى ، وقد مررنا بالجامعة والمدارس وهى خارج المدينة وبها مدرسة للبنات ، ثم مررنا بحى به مساكن اغنياء المدينة وكبار موظفى الحكومة ، وقد رأينا فى طريقنا كثيرين من الزوج ونساءهم يتنزهون ، وكان يوم الاحد والاشغال معطلة والدكاكين مغلقة واغلب الجنس الابيض خارج المدينة للتنزه ، وقد لاحظت ان نساء الزوج على غاية من النظافة لابسات ملابس نظيفة وعلى رؤوسهن مناديل حريرية ملونة ولو أن بعضهن حفاة الاقدام لكنهن على اتم نظافة واود لو توفرت هذه النظافة عند الطبقة الفقيرة فى مصر ، أما الرجال من العمال فنادر ما يكونون فى زى نظيف وذلك لما تستدعيه اعمالهم واشغالهم

ان للزوج فى هذه البلاد قوانين خاصة تختلف عن القانون العام فمثلا ممنوع عليهم السير على الارصفة ، وعليهم أن يفسحوا الطريق

للجنس الابيض ، وغير مصرح لهم ركوب الترام ، ولهم عربات خاصة
 بقطارات السكة الحديدية ، ولا يسمح لهم بدخول المحلات العمومية
 مثل البارات والقهوى والتياترات والملاهى واللوكاندات ، وليس لهم
 أن يمشوا بالشوارع بعد الساعة التاسعة مساء الا بجواز خاص يظهره
 للبوليس أثناء مروره ، وعلى كل زنجي أن يحمل معه تذكرة شخصية ومن
 لم يكن معه تلك التذكرة يعاقب بشدة ، والقانون يحرم عليهم تعاطي
 المشروبات الروحية وكذلك يحرم بشدة التزاوج بين السود والبيض
 وكل ما يقع بين زنجي وأبيض من خلاف يفصل فيه بقانونين قانون
 للزنجي وقانون للابيض ، وتلك المعاملة القانونية تتناول كل لون من بني
 الانسان خلاف اللون الابيض حتى أننا لاقينا بعض الصعوبة بشأن
 خادى الخاص وهو بربرى فاتح اللون وقد منع من ركوب الترام فى
 پريتوريا وعاد دون أن يعلم السر فى منعه كذلك رفض جرسونات
 اللوكاندة فى جوهانسبرج أن يقوموا بخدمته وتأدية طلباته لانه من
 الجنس الملون واسكن علمنا أن الحكومة فى عهد وزارة الجنرال
 سمطس كانت اعترفت تعديل بعض تلك القوانين بالنسبة للاجانب الملونين
 مثل الهنود وغيرهم من التجار اذ طلبوا ذلك من الحكومة مراراً
 واحتجوا على هذه المعاملة تكراراً

مررنا فى طريقنا بجديقة الحيوانات فالقسم الذى به مساكن الهنود
 والعبيد ويتاجر أغلب الهنود فى الفواكه والاقمشة ، وقد وجدنا فيما
 رأينا فى طريقنا عربة جزار مكتوب عليها : جزار مسلم ولا عجب

فالإسلام منتشر أيضاً في شرق أفريقيا وجنوبها وقد رأينا على جهة مرتفعة ما تبنيه الحكومة من الدور الصغيرة لاقامة الزوج والتي تصير ملكا لهم بعد وقت معين مقابل دفعهم اقساطاً مقدار كل منها جنيه وربع

في يوم ٥ مايو كان الجو ملبداً بالغيوم وذهبنا في الساعة التاسعة والنصف الى حديقة الحيوانات والتي فيها رغم صغرها مجموعة جيدة من الحيوانات مثل النسانيس والتياتل والقروود وخلافها، والحديقة جميلة من حيث نظافتها وما بها من النباتات والاشجار، وقد علم مدير الحديقة بمجيئنا فحضر لمقابلتنا، وقد ارانا أسداً كبيراً من بلاد السومال وهو وحش كاسر لم يمكنهم من الحصول على نتاج منه اذ أنه يفترس الانثى التي توضع معه، ورأينا هيبوبوتام كبير. ذهبنا بعد ذلك الى حديقة النباتات لأوصى على بعض النباتات ثم رجعنا الى الفندق في الساعة الواحدة فأخبرونا بأن الجنرال سمطس سيكون في انتظارنا في سراى الحكومة الساعة الثالثة بعد الظهر فتوجهنا لمقابلته في الساعة المعينة فوجدته وقوراً وفي غاية من الظرف شأن كل موظفى حكومة جنوب أفريقيا الذين قابلتهم، فتحدثنا مدة ثلاثة ارباع الساعة وعند انصرافى دعانى لتناول الغداء معه فى الكلوب « النادى ». عدنا الى الفندق وبعد قليل خرجنا للتريض سيراً على الاقدام، رأينا فى طريقنا دكاناً صغيراً لبيع الجلود وعند دخولنا فيه دهشنا لسعته من الداخل وما به من رؤوس كثير من الحيوانات الوحشية كالتياتل والجاموس

محنة على اتقن صورة ، وأعجبنا منها دقة الصنع فأخذت مذكرة بعنوان المحل وأثمان الاشياء المهمة وما تتكلفه من الاجر لاطلع عليها سمو الامير يوسف كمال لانه من أكبر المولعين بهذا النوع من الصناعة وعند رجوعنا الى الفندق وجدنا صورة الجنرال سمطس التي كان قد وعدنا بارسالها اليها كتذكرا لسياحتي ومقابلتنا في هذه البلاد وأما المدينة في غاية النظافة ويستعمل لتنظيف الشوارع الكبيرة عربتان يسوق كل واحدة سائقون من العبيد ، ويلتقط بعض العبيد الفقراء أعقاب السجائر من الارض وبذلك تم نظافة الشوارع

(يوم ٦ مايو) كان الجو رائقاً والهواء طلقاً فأخذنا سياراً وتوجهنا لزيارة مايمنا رؤيته فقصدنا مدرسة الطب البيطري والمعمل ، وتصرف الحكومة سنوياً على ذلك مبلغ ١٢٠٠٠ جنيتها والمدير رجل قدير يدعى السير آرولد تيلر وأصله من مدينة زيورخ بسويسرا وتوطن الترنسفال منذ ثلاثين سنة وتحت ادارته عدد من العلماء الاختصاصيين ويهتمون فيها بدرس أمراض الخيل والبقر والغنم وكل الحيوانات المستعملة في الزراعة

ومع أن النباتات كثيرة شائعة والمراعي غزيرة نضرة الا أن النبات في هذه الجهات تنقصه مادة الفوسفور الضرورية لتغذية الحيوان ، وان الحيوان لفي حاجة شديدة الى تلك المادة فلذا يبحث البقر عن عظام الحيوانات لياً كلها معوضة بذلك مادة الفوسفور غير المتوفرة في مرعى هذه الجهات ، وان عدم توفر الفوسفور في الغذاء



يضعف الحيوانات ويفقد من شهيتها فتمرض وتظهر عظام كفلها الخلفية فتلاحق بها البقر وتنهش تلك العظام البارزة . وينتهي هذا المرض عند الحيوانات الى مرض تصلب الاعصاب وقد أجرى الاختصاصيون عدة تجارب للعلاج من ضمنها أن يكسروا بعض عظام الحيوانات ويجعلوا البقر يمر بجانبها فالمرضى منها تستوقفها العظام لتأكل منها وبذلك يعلم نقص مادة الفوسفور في مثل هذه الحيوانات فيعطوها مسحوقا من الفوسفور بكميات معلومة لاتهمها حتى تعوض النقص في غذائها وبعد اجراء هذه التجربة مع كثير منها تجدها تنتظر بتلهف الساعة المعينة لتناول الفوسفور ، وقد أفادت هذه الطريقة في علاج البقر في جنوب افريقيا ، ووزع المعمل المذكور مادة لتطعيم حيوانات الاهالى مجانا بما يقدر بنحو أربعين ألف جنيهه ، ولهذا المعمل مزرعتان تبلغ كل منها ثلاثة آلاف فدان لعمل التجارب اللازمة والاستفادة من الملاحظات التي تنتج عنها . ويوجد في المعمل قسم خاص لاكتشاف ودرس الديدان المعدية في الحيوانات ووجدوا أن أنجح علاج ضد هذه الديدان هو خلط كمية من ورق الدخان مع الغذاء المتناول . ذهب معنا لمشاهدة هذا المعمل طبيبان بيطريان تابعان لحكومة مدغشقر فدهشنا مما شاهدناه ومن كثرة المال المخصص لهذا الغرض وذكرنا بأن حكومة مدغشقر لا تصرف عشر هذا المال للغرض نفسه . وبعد أن شاهدنا غرفة الجراحة وغرفة الميكروسكوب ومحال أخرى ودعنا المدير وانصرفنا الساعة الحادية عشر والدقيقة ٤٥ ، ومررنا



في طريقنا بحقول واسعة مزروعة بأنواع الخضر وعلى نظام بديع اخبرنا السائق أنها تابعة لايطالين ، ورأينا أيضا في طريقنا شجرة كبيرة يطلقون عليها اسم الشجرة البديعة ، وصلنا الفندق في الساعة الثانية عشر والنصف فوجدنا مستر ريس مدير فرع شركة كوك بجهان سبرج وكان في انتظارنا للاتفاق على محلاتنا في الباخرة ، بعد ذلك ذهبنا الى النادي تلبية لدعوة المستر سمطس لتناول الغداء وكان قد دعا أيضا الدكتور ايفانس رئيس قسم النباتات وكذلك رئيس ادارة الترنسفال قتناولنا الغداء جميعاً وتجاوزنا أطراف الحديث وودعنا ثم شاكرين لهم ما لقينا من الحفاوة ، ورجعنا لاعداد لوازم السفر وقد رأينا أثناء طريقنا أولاداً من الهنود لابسين الطرايش راكبين عربات استأجروها بادية عليهم علامات الفرحة والسرور فعرفنا أنهم محتفلون بعيد الفطر ، هكذا شأن الهنود فانهم لا يتركون الفرصة تمر دون اظهار تقاليدهم وعواظفهم الدينية

غادرنا بريتوريا قاصدين جوهانسبرج وكانت الساعة الخامسة والدقيقة عشرين وتباغ المسافة بينهما ٤٥ ميلا وقف القطار في أثناءها بمحطة جرمستون التي بها معادن الذهب ، ولما وصلنا الى محطة جوهانسبرج ونزلنا الى الرصيف نمرة ٣ لركوب القطار الى ما فيكنج وبولاوايو ، تحرك القطار في الساعة السابعة مساء فاتقلنا الى عربة الاكل لتناول طعام العشاء فوجدناها تفضل ميثاتها في قطار لورانس ماركيس ، واهتزاز العربات في هذا الخط قليل فتمكنا من قضاء ليلة هادئة ،

وهذا الخط يعوزه الكبارى وتنقصه النفقة « تونيل » ، وصلنا مدينة مافيكنج في الساعة السابعة صباحا وهى على ارتفاع ٤١٩٤ قدم عن سطح البحر وعدد سكانها ٢٢٩٧ وهى نقطة مهمة فى المواصلات الحديدية وبعد أن كانت منتهى خط الكاب أصبحت حلقة اتصال بين الترنسفال والبكيوانالاند ويسكنها حاكم البكيوانالاند ، وعلى مسافة ميل منها توجد قرية عبيد يسكنها ثلاثة آلاف نسمة مع رئيس قبيلتهم التى تدعى بازنج وهؤلاء هم الذين ساعدوا البوير فى فتح هذه البلاد ولذلك تركوا لرئيس هذه القبيلة حق الحكم والادارة فى قبيلته ، وقد أنشأ الانكايز مدينة مافيكنج فى سنة ١٨٨٥ ومنها ابتدأت ارسالية الدكتور جيس الى الماتابلى وتبع ذلك انضمام روديسيا لمستعمرات انجلترا ، ويوجد بهذه الاراضى مراعى صالحة غنية ويقال أن الحير والخيل تلائمها هذه البقعة اكثر من باقى بقاع جنوب أفريقيا ، والاهتمام كبير اتربية النعام ، والمنظر يكاد يكون متشابهاً طول الطريق فالاشجار العالية لا يزيد ارتفاعها عن اربعة أمتار ، والارض تكسوها الخضرة والحشائش ، ويوجد بالجهة الغربية صحراء كلهارى ولكن لم نرها لمورنا ليلا

يبيع العبيد فى المحطات جلوداً لبعض الحيوانات وتماثيلا من الفخار والخشب ويظهر عليهم الهدوء والفقر . وقد رأينا قبيل الغروب أسراباً من الجراد وهو أقل حجماً من الجراد فى مصر ، ورأينا كذلك كثيراً من النعام واجتزنا حدود روديسيا ودخلناها فى صباح يوم ٨

مايو ومما هو جدير بالذكر أنه كان فيما مضى قد حذر حاكم ماتابلي المسمى موزيلكاس رجاله وأتباعه من حفر الارض والجبال والانهار لالتقاط الذهب ، وذلك حتى لا يطمع الاجانب والمستعمرون في امتلاك البلاد اذا هم رأوا غناها وذهبها ، وفي سنة ١٨٨٩ كان في عزم البوير وغيرهم أخذ هذه البلاد فلما أحس الانكليز بما يدور في الخفاء ابتدأ المدعو سسل رد رئيس شركة جنوب أفريقيا الانكليزية بالهجوم على هذه الاراضي في خمسمائة من الرجال مسلحين بالاسلحة الحديثة وأخذ في ضم هذه الاراضي الواسعة الى الاملاك الانجليزية حتى وصل نقطة تسمى الآن قلعة سلسبرى وذلك في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٩٠ فأسس شركة باسم شارترود قومباني لادارة هذه البلاد وظلت الحالة هادئة الى سنة ١٨٩٣ حيث ابتدأت عشيرة الماتابلي بالهجوم على البيض وقتلت كثيراً منهم وهاجمت قلعة فيكتوريا ولكن ما لبث أن انعكس الحال ولما رأى ملك الماتابلي أنه على وشك الانهزام حاول الهروب وعبور نهر شانجانى فلم يتم له ذلك اذ أحرق به الماجور وكش بمن معه وقتلوه ، وبعد شهر توفى الملك الآخر المدعو لونجولا فتم النصر للانكليز اذ ضعفت قوة العبيد بموت ملوكهم وانهزام رجالهم وأذعنوا في سنة ١٨٩٥ أطلقت الحكومة الانكليزية على هذه البلاد اسم روديسيا وذلك نسبة الى سسل رد اعترافاً بفضله وفي سنة ١٨٩٨ تمكن الانكليز من امتلاك جنوب روديسيا وحافظوا على الشجرة الكبيرة التي كان ملوك العبيد ينفذون تحتها الاعدام على المحكوم



عليهم من رعاياهم وكانت عاصمتهم تسمى بولاوايو ومعنى ذلك باللغة الزولية « زولو » محل قتل الناس

يوجد في الضواحي الفحم والاسمنت بكثرة ، أما الذهب فقليل ومدينة بولاوايو مخططة على نظام مدن جنوب أفريقيا فالسوق في وسط ميدان متسع وسط المدينة ، والشوارع متجهة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، وعلى جانبي هذه الشوارع أشجار على امتدادها ، ومساحة المدينة كبيرة لاتساع شوارعها ، ولان منازلها ذات طبقة واحدة ، وأهم مباني المدينة هي دار البوستة وسراى الحكومة ودار البلدية والمحكمة والبورصة

ان روديسيا مقسمة الى ثلاثة أقسام فالحاكم العام يقيم في فورسلسبرى وللقسم الشمالى رئيس ادارة فى لفنجستن ومدير القسم الجنوبى يقيم فى بولاوايو . سافرنا من بولاوايو الساعة الواحدة بعد الظهر قاصدين فيكتوريا فولز الواقعة على بعد ٢٩٠ ميل ، وهذه المسافة يقدر لقطعها فى البلاد الاخرى مدة ست ساعات تقريبا ، الا أنها هنا تقطع فى ١٦ ساعة ، والقطار يسير بغاية البطء والعربات أضيق من العربات فى الترنسفال وحالتها رديئة بسبب شدة الحرارة وكثرة التراب كذلك لم يكن الغذاء بالقطار جيدا . لا يوجد من المناظر فى طريقنا ما يستحق الذكر وفى الساعة الواحدة صباحا وقف القطر فى محطة كبيرة مضاعة بالكهرباء ولما نظرت من النافذة رأيت المعامل والمناجم تشتغل ليلا . تيقظت الساعة الخامسة صباحا وكان ذلك وقت الشروق



في سماء صافية ومناظر جميلة . ورأينا من بعد سحابة كثيفة علمنا أنها
 نأتجة عن شلالات فيكتوريا فلز . وصل القطار في ميعاده المحدد
 أي الساعة السادسة والدقيقة ٢٠ فوصلنا على الاقدام الى الفندق في
 خمس دقائق ، فسررنا اذ وجدناه بديع الشكل مستكملا لاسباب
 الراحة والنظافة . وأن الانسان ليعجب أن يرى بلادا كانت في الماضي
 القريب مرتعا للوحوش وموطنا للزئوج لا امان فيها ولا فرق بين
 وحشها وانسها ، بلادا كانت هذه حالتها تتحول الى حالتها اليوم فيسكنها
 المتمدينون ويؤمها السائحون وفيها ما يكفل للمرء الطمانينة والراحة ،
 وبها هذا الفندق العظيم الحديث النظام الجميل المقام . وجدنا أن كل الخدم
 من العبيد الا القليل من الافرنج ، ووجدنا خادما من زنجبار يتكلم
 العربية ، وكم يسر الانسان اذ يرى من يتكلم بلغته في بلاد غريبة نائية
 وكنت أود أن أرى بين من أرى من أهل الهند وجاوا وزنجبار
 وغيرها مصريين ينقلون الى تلك البلاد لغتهم وما يمت اليها لاسيما وان
 المصريين يعلمون انهم أرقى أهل البلاد العربية ان لم تكن الشرقية فكان من
 الواجب عليهم أن يضر بواقي الارض ليستطلعوا عجائب الدنيا فينقلون
 الى وطنهم ما ينقصه من ثمار الطبيعة وما غاب عنه من بدائع الفكرة
 الانسانية من مخترعات فنية ونظامات مختلفة كباقي الامم المتمدينة التي
 امتازت بالنشاط والتزاحم في سبيل الحياة القومية
 بعد ساعة من الاستراحة ووصول منقولاتنا الى اللوكاندة
 نزلنا الى عربات « ترولي » تسير على شريط حديدي ويدفعها الزئوج

حيث أفلتنا الى كوبرى السكة الحديدية وهو معلق يرتكز بطرفيه على الشاطئين فقط حيث يبلغ ارتفاعه عن سطح الماء ٣٥٠ قدما ولا يعلم عمق الماء في هذه البقعة لشدة التيار وأما الارتفاع من منتصف الكوبرى الى سطح الماء فيبلغ خمسمائة قدم وذلك أعلى كوبرى وجد في العالم ويبلغ طوله ٦٥٠ قدما وقد تم بناؤه في سنة ١٩٠٤ . سرنا على هذا الكوبرى حيث رأينا أول مرة منظرا عمومياً للشلالات وهي مذهشة مهيبة وأول أوروبي اكتشفها هو الدكتور ليفنجستون في سنة ١٨٥٥ ميلاديه وقد سماها على اسم الملكة فيكتوريا « شلالات فيكتوريا » بنهر الزنيزى وتكثر المياه في وقت فيضانه في شهر ابريل حيث يزيد ارتفاع المياه عن الحالة العادية خمسين قدما ومن الغريب أن هذه الشلالات ليست كغيرها مما يراه أو يتصوره الانسان كأنحدار المياه في مجراها اذ الأرض مستوية وانما تأتي مياه النهر الى هذه النقطة من الشلالات فتسقط الى منخفض عميق ضيق أشبه بواد أحدثته قوة المياه مع الازمنة الطويلة حيث شقت بين الارض المستوية واديا عميقاً ويوجد في أمريكا ما يشبه ذلك بنسبة صغيرة ويسمونه كازيون

يبلغ عرض نهر الزنيزى قبيل الشلالات ميلا وربعاً حيث هناك يوجد كثير من الجزائر صغيرة وكبيرة ثم ينقسم الى أربعة أقسام فالقسم الجنوبي يسمى شلال العفريت ويبلغ عرضه ٩٠ قدما وتسقط منه المياه الى عمق ٢٥٠ قدما ثم الشلال الكبير الذى بين جزيرة لفنجستون

وجزيرة الشلال وهذا تقسمه صخرة كبيرة الى قسمين القسم الاول عرضه ٥٧٣ ياردة والاخر ٣٢٥ ياردة ثم شلال قوس القزح وعرضه ستماية ياردة وبعده الشلال الشرقي حيث رأيناه أول مرة وكان لجلال منظره في النفس ما يورثها اعترافا بقدره الخالق وعظمته ويهر العين بحال الطبيعة . ذهبنا من هناك لرؤية غابة كثيفة من النخيل منخفضة عن سطح الارض يسمونها مغارة النخيل وبعد مسافة قصيرة عدلنا عن الذهاب اليها لان طريقها وعرو ومن تلك النقطة يرى الانسان وهو في المنخفض العميق مع مستوى الماء تيارا شديدا بدوامات مزعجة قادمة مع الماء من مصب الشلال ويوجد أحيانا في هذه الجهة بعض التماسيح وأثناء عودتنا حيث كان الطقس حارا استرحنا قليلا على مقعد تحت شجرة نسرح نظرننا في عجائب الطبيعة فرأينا نسانيسا في الوادي تقفز على الأشجار وتداعب بعضها وتصرخ فكان لنا منها تسليمة مضحكة ثم استأنفنا سيرنا في العودة الى اللوكاندة ومن هذا الطريق يوجد طريق الى بلدة ليفنجستون عاصمة روديسيا الشمالية وهي تبعد سبعة أميال من الشلالات . بعد الظهر أشير علينا بالذهاب لرؤية الغابة الممطرة أو غابة الامطار فارتدينا المسكتوش « أي بالطو المطر » على ثياب خفيفة وقبعات خصيصة للمطر وقتنا في الساعة الرابعة مساء بعد تناول الشاي وكان معنا الدليل الزنجي فوصلنا الى نقطة بأول الكوبري تسمى الجهة الخطرة وحقيقة أن الارض مقطوعة الى أسفل عميق ومن الخطر أن يقف الانسان على حافة المنحدر أو يسير بالقرب منه لاحتمال



انهيار الارض من الخافة ومن هناك رأينا عظمة المنظر المهيب الهائل
لهذه الشلالات وكان المطر يهطل علينا بغزارة والحقيقة أنه ليس
مطر عادى وانما هى المياه المتصاعدة من قاع الشلال بشكل البخار
بعد سقوط المياه واصطدامها بالحجارة وما ينشأ عن ذلك من ضغط
الهواء الذى يقذف برشاش الماء الى ارتفاع يبلغ من خمسين الى مائة
مترا عن سطح الارض فيكون سحابة ممطرة باستمرار ثم دخلنا غابة
كثيفة بمختلف الأشجار تشبه الغابات الوحشية بخط الاستواء التى
تستلزم لمن أراد السير فيها ان يخترق طريقه بين أشجارها المتعانقة
الأطراف كذا قد وجدنا بها بعض طرق متجهة نحو الشلال فسرنا فى
احداها وجهة شلال قوس القزح وهناك رأينا قوس قزح كامل الدائرة
كان مثل حلقة تمر بجانب قدمى وبجانبه قوس قزح آخر وأظن أن
هذا ناشىء عن الماء والشمس ويقال أيضا أنه يرى كذلك فى الليالى
المقمرة ثم مررنا فى سيرنا وسط الغابة بأشجار من الفيكس والنخيل
وغيرها الى أن وصلنا نقطة رأينا منها الاربعة شلالات حيث كان
المنظر مدهشا يأخذ بالعقول والابصار فنطقت قلوبنا بعظمة مجد
الخالق وأعجبنا بعجيب صنع منشىء الأكوان وقدرنا فوائد السياحة
وواجبها على كل انسان استطاع اليها سبيلا خصوصا من تيسر له
المال والوقت حتى يفوز بمشاهدة بدائع الكون فى عصر امتاز عن العصور
الماضية بكثرة المخترعات وغرائبها مما ذلل عقبات الاسفار على سطح
المعمورة براً وبحراً وفى الهواء وغير ذلك مما يعلمه الخاص والعالم



كان معنا اثناء عودتنا في عربات الترولى رجل بلجيكي مع عائلته يقصد في سفره بلدة اليزابث فيل وهى واقعة جنوب خط الاستواء باحدى عشر درجة ويقال أنها أنشئت على النسق الاوروبى ولما كانت المعادن على اختلافها فى تلك الافطار تجلب الاوروبين اليها تراهم يهيمون بها من وسائل الراحة وحاجيات المعيشة ما يلزمهم لتسهيل الإقامة بها

ان خط السكة الحديدية الموجودة بتلك البقاع « روديسيا » هى الجزء الجنوبى من خط السكة الحديدية المزمع انشاؤها منذ زمن بين مصر والسكاب

يوم ١٠ مايو كان الطقس حاراً فشيننا لرؤية شجرة كبيرة اسمها بواباب ولكن لم نجد لها اكبر من الاشجار التى بالزنجبار واثناء عودتنا مررنا بشاطيء نهر الزامبىزى وسط الاشجار فصادفنا مكانا لم نكن رأينا من قبل وهو على شلال العفريت ميزته الطبيعة بجمال يسحر الانظار فكشنا قليلا لتأخذ العين قسطا من رائع جمال الطبيعة ثم رجعنا الى اللوكاندة ومنها الى بائعين بمنزليهما جوار المحطة يبيعان اشياء من صنع تلك البلاد وأهلها . يوم ١١ مايو كان الطقس لطيفا والجو دافئا فأمضينا نصف النهار فى راحة وهدوء وبعد الظهر فى الساعة الثانية ذهبنا لركوب موتربوت بقصد التنزه بنهر « الزامبىزى الأعلى » ولرؤية عدة جزائر فى وسط النهر وكان الموتور نظيفا بقوة ٣٠ حصانا ولاحظنا أن سائقه الانجليزى قد وضع اشارات من عصى حديدية قائمة

في النهر ليستدل منها على خط السير بالنهر لان به صخوراً عالية وليس عميقاً بقدر الكفاية في كل جهاته وكانت الشواطىء والجزر في زى جميل بها كثير من الاشجار المتدلية في النهر وسرنا حتى وصلنا الى جزيرة صغيرة تسمى كالاي فوجدنا بها زوارق صغيرة لاشخاص جاؤا للتنزه من لفنجستن ومعهم غداءهم حيث أمضوا يومهم تحت ظل الاشجار الكبيرة بتلك الجزيرة ولقد وجدنا في وسط الغابة طريقاً أو ممراً لمرور السائحين وكذلك بعض مقاعد من الخشب وليس هناك خوف من وحوش أو حشرات لانها خالية من ذلك فقط توجد الطيور ويوجد ايضاً النمل الابيض بكثرة وقد استلقت نظر الانسان اثر ما يعمله هذا النمل اذ تراه ينخر الشجر الكبير حتى يقطعه فيقع وكذلك يفجر في الارض وينشئ من التراب ما يشبه عاموداً وتحتة أشبه بمغار ليكون بيتاً له به طرق وبيوت منفصلة عن بعضها ، ثم مررنا بالجزيرة فوصلنا على مقربة من شلال صغير يبعد ثمانية أميال من الشلالات العظيمة وهناك وقفنا بجانب جزيرة تسمى كاندهار تذكر الزيارة اللورد روبرتس أوف كاندهار لها بعد حرب البوير وأنها تشابه الأخرى سوى ما وجدناه بها من نوع الياسمين الزكي الرائحة وآسف لعدم وجود بذور منه

النهر عظيم في اتساعه حتى أن المياه عند ما تعلو ثلاثة أقدام في جهاته الواسعة يبلغ علوها في مضائق الشلالات خمسين قدماً . عدنا بعد هذه الفسحة بالموتور ونزلنا الى الشاطىء من حيث نذهب الى



اللوكاندة ومررنا في طريقنا مرة أخرى بالنقطة التي تطل على شلال العفريت .

يوم ١٢ مايو كان موعد سفرنا من فيكتوريا فولز في الساعة ١٢ وليس هناك في طريقنا ما يستحق الذكر . وفي يوم ١٣ مايو صباحاً وصلنا الى بولاوايو وبعد طعام الفطور بسرعة قننا في الساعة الثامنة ونصف بالسيارة لرؤية تلول ماتوبوس وكان الهواء شديداً والجو بارداً وكان الطريق متعباً قليلاً وذلك لقلة الآهليين من السكان ولبعد المسافات فلا يمكن أن تكون الطرق مثلها بأوروبا وكان الجو ينذر بمطر ولكن تحسنت حالته وسطعت الشمس وبعد سبعة عشر ميلاً من المدينة مررنا بلوكاندة صغيرة بجانبها تفتيش كبير يبلغ مائة وخمسة عشر الف فداناً أهدها سسل رود للحكومة التي أنشأت لتلك الاراضي خزان مياه كبير في سنة ١٩٠٣ يسع ٩٠٠ مليون جالون من المياه وقد صرف لعمله ثلاثين الف جنيهه ومما ساعد في قلة المصاريف أن استفادوا من وجود جبلين بشكل سور حول المياه والحكومة تعطى من هذه الاراضي قطعاً ذات الالفين فدان بالايجار وقبل وصولنا الى مدفن سسل رود بأربعة أميال مررنا من بوابة وسط حديقة كانت تابعة لسسل رود وأعطيت مع التفتيش للحكومة والابواب الموضوعة في نهايتي الطريق أهديت من مستربايت وهو من كبار المالين بجنوب افريقيا بعد سسل رود . قد تغيرت المناظر بعد اجتيازنا تلك البوابة اذ رأينا التلول عبارة عن صخور كبيرة ذات ألوان مختلفة موضوعة فوق

بعضها بأشكال غريبة على حالتها الطبيعية ثم وصلنا الى موضع المدفن حيث وقفنا فوجدنا مستر داوست رئيس ادارة التفتيش في انتظارنا ليرينا ماتهم رؤيته فصعدنا سيراً على الأقدام الى مرتفع في مدة ٢٠ دقيقة اذ وصلنا الى قمة صخرية بها قبر منحوت في الصخر ومغطى بلوحة حديدية مكتوب عليها « هنا يرقد سسل رود » وبجواره مرقد الدكتور چيمس وله شهرة محترمة في تاريخ جنوب افريقيا وعلى بعد ثمانين ياردة من هذه النقطة يوجد تمثال مربع من حجر الجرانيت وعليه من الاربع جهات هياكل من النحاس بصور أشخاص المحاربين المتطوعين تحت رئاسة الماچور الن ولسن الذين قتلوا في معركة مع الزنوج بجوار نهر شانجاني . يقال ان هذا الموضع المرتفع الذي به المدفن كان يعتبر عند عبيد أو زنوج الماتاييلي مكانا مقدسا . بعد ما شاهدنا من هذه القمة الوفا من التلول والوديان التي تحيط بها وهي ذات أشكال غريبة نزلنا قاصدين العودة فودعنا المستر داوست الذي أفهمنا بوجود طريق آخر جديد وقد وصفه للسائق فركبنا السيارة وسرنا من هذا الطريق الى أن وصلنا اللوكاندة الساعة الواحدة بعد الظهر وقد أردت الراحة قليلا بعد طعام الغداء ولكن في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر جاء مختار افندي وأخبرني بوجود بعض من الهنود جاءوا لزيارتي فارتديت ملابسى وذهبت لمقابلتهم فوجدت اثنين من الهنود وثالثهما من جاوا وهم من زعماء الجمعية الاسلامية في مدينة بولاوايو فدار الحديث بيننا عن حالة المسامين هناك وبعد قليل انصرفوا وحيث



كان لدينا متسع من الوقت قبل قيام القطار قد قطعت المسافة الى المحطة سيرا على الاقدام فوصلت الى الرصيف قبل قيام القطار بعشر دقائق فقصدت الى الديوان المخصص لى بعربة القطار فوجدت بعضا من الهنود جاؤا لتوديعي ومعهم بذت صغيرة تسمى حنيفة قدمت لى باقة من الورد والزهور وكان معهم ثلاث سيدات من الهنود ايضا فشكرتهم على رقيق إحساسهم وجميل شعورهم بالرابطة الدينية والعلاقة الشرقية ثم قام القطار فى الساعة الخامسة مساء ولا حاجة لوصف ما بالطريق لان مابه سبق وصفه اثناء مرورنا من جوهانسبرج الى بولاوايو فقط لا يفوتنى أن أذكر ما صادفناه فى اليوم الثانى بالقطار حوالى الساعة واحدة بعد الظهر اذ غشينا سحاب كثيف حجب عنا الشمس وهو عبارة عن ملايين من الجراد فكان ينكشف ذلك السحاب تارة ويفشانا تارة أخرى واستمر على ذلك نحو نصف ساعة فقلنا النوافذ والابواب اذ دخل بعضه من النوافذ

فى يوم ١٥ مايو صباحا حوالى الساعة الخامسة كان القطار واقفا بمحطة جوهانسبرج وهذه المدينة مرتفعة عن سطح البحر بمقدار ٥٧٤٠ قدما و يبلغ سكانها نحو ١٥٤ الفاً من البيض و ١٣٨ الفاً من الزنوج والشرقيين أى الملونين وهذه المدينة انشئت فى سنة ١٨٨٦ وكانت الاراضى اذ ذلك بخسة الثمن لا قيمة لها حتى أن اصحاب المراعى كانوا يستبدلون جزءا كبيرا من مساحة الارض نظير اثنى عشر ثوراً « ثمن الثور من خمسة الى عشرة قروش » وفى اوائل سنة ١٨٨٦ اكتشف الذهب فى

تلك البقعة فبدىء بتأسيس المدينة وانشائها وحينئذ ارتفعت قيمة الارض حتى أنه بعد تسع سنوات من تأسيس المدينة بيعت قطعة ارض للبناء فى شارع من شوارعها بمبلغ اثنان وعشرين الف جنيه وبعد سنتين صارت قيمتها أربعين الف جنيه وعلى ذلك اخذ ارتفاع الائمات واتساع المدينة فى استمرار وازدياد حتى أنه فى سنة ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب الكبرى اشترى احد المصارف المالية قطعة ارض مربعة طولها خمسين قدماً وعرضها كذلك بمبلغ خمس وعشرين الف جنيه

يعتبرون هنا أن جوهانسبرج اكبر مدينة افريقية بعد القاهرة من حيث مساحتها وعدد سكانها وقد بلغت هذه المدينة الى حالتها الحاضرة من الاهمية والاتساع فى مدة خمس وثلاثين سنة وهذا مما يدعش الانسان اذا تذكر أنه قبل تلك المدة كانت تلك الاراضى عبارة عن صحراء وقد أصبحت الآن مدينة جميلة ذات بساتين وأشجار تحوطها غابات منشأة بيد الانسان ومما يزيد اهميتها أنها واقعة فى وسط بلاد افريقيا الجنوبية اذ تصل اليها المتاجر من الكنجو وروديسيا شمالاً ومتصلة أيضاً من الشرق بمرفأين كبيرين وهما دلاجوا ودربان ومتصلة أيضاً بمدينة السكاب جنوباً وبمرفأ ولفشباى غرباً فهى مركز تقابل بين اكبر مدن جنوب وأواسط افريقيا. تنقسم المدينة الى مائة وستة عشر قسماً ومما زاد فى اتساعها وجود مناجم الذهب بوسط المدينة ويبلغ طول طرقها التى تصرف عليها البلدية سبعائة ميلاً، بها ابنية

ضخمة حديثة الطراز منها دار المحافظة صرف في انشائها ٤٥٠ الف جنيه
 ودار المحكمة العليا صرف في انشائها ١٣٥ ألف جنيه وبها البورصة
 المالية ومدرسة المعادن ودار الكتب وجملة كنائس ومعبد لليهود
 الذين يبلغ عددهم خمسين في المائة من أهل المدينة ويبلغ عدد المعابد على
 اختلافها مائة وستين ومستشفى كبير صرف في انشائه ١٢٠ ألف جنيه
 وكذلك صرف لبناء المذبح « ساخانة » مبلغ خمس مائة ألف جنيه يذبح
 به سنوياً ستماية ألف حيوان ويوجد بها ميادين لسباق الخيل وللالعاب
 الرياضية وكل ما يلزم لمدينة عظيمة غربية حديثة

نزلنا بلوكاندة كاراين في تلك المدينة وهي تضاهي لوكاندات
 أوروبا العظيمة وقد سررنا لما جاءنا مستر ريس وكيل محل كوك في
 الساعة التاسعة صباحا وأخبرنا أنه حجز لنا غرفا على أكبر باخرة
 ستغادر الكاب الى أوروبا في يوم ٦ يونيه

نزلنا للسير قليلا في شوارع المدينة ثم عدنا وفي الساعة الثالثة بعد
 الظهر ركبنا سيارة وذهبنا الى حديقة الحيوانات وهي شهيرة بانتاج
 السباع وتوليدها وهذه الحديقة على أرض واسعة الأرجاء تحت ادارة
 البلدية التي لها اراد عظيم وجعلت دخول الحديقة دون مقابل وقد
 شاهدنا بها كثيراً من السباع وأشبالها وحيوانات أخرى مختلفة
 الأجناس ثم خرجنا في الساعة الخامسة وربع للعودة الى اللوكاندة حيث
 مررنا في طريقنا بكثير من أشجار الكافور والصنوبر وقد أنشئ كل
 هذا في ثلاثين عاما وذلك مما يدل على أنه لو أردنا انشاء مثل ذلك في

مصر لامكننا دون أى صعوبة ثم مررنا بالحي الذى يسكنه الاغنياء وهو فى غاية من الرونق والنظام فوصلنا اللوكاندة الساعة السادسة مساء يوم ١٦ مايو كان الطقس حسنا وفى الساعة ٩ صباحا جاء مستر ريس وكيل محل كوك فذهبنا معه لادارة المناجم الذهب حيث عرفنا برئيس الشركة المستر صامويل ايفينس وهو رجل كبير السن كان فى مصر سنة ١٨٨٥ وكيلا للسير ادجار فينس الذى كان مستشاراً مالياً بمصر فى ذلك العهد وكان قد سافر معه الى الاستانة لتأسيس البنك العثمانى ومن هناك انتدب للذهاب الى بغداد وطهران لتأسيس فروع هذا البنك وبذلك سنحت له فرصة السياحة فى بلاد الشرق مما زاده خبرة فائقة فى ادارة الاعمال المالية الكبرى ، وبعد التعارف والتحية نزلنا جميعاً وركب هو ومختار افندى سيارة وتبعناهما فى سيارة أخرى حتى وصلنا الى مكتب ادارة المناجم بعد عشر دقائق وهناك تعارفنا برئيس الادارة مستر واتن الذى استقبلنا فى مكتبه وقد أخبرنا أن هذه الشركة كونت بانضمام ثمان شركات فصارت شركة واحدة تسمى شركة مناجم كروترو والآن يحفرون الى عمق ثلاثة آلاف قدم تحت سطح الارض فى مساحة عرضها ثلاثة أميال وطولها ثلاثة وهذه المساحة تحت سطح الارض ويوجد خمسة عشر منفذاً للنزول اليها ولارسال التربة والحجارة التى تحفرها الى سطح الارض وجميع الآلات والمكينات بهذا المنجم تدار بقوة كهربائية تصل اليه من مسافة تبعد عنه وعن المدينة أربعين ميلا ويوجد داخل المناجم فى بطن الارض سكة

حديدية تسير عليها عربات حمولتها ثمانية أطنان لحمل الحجارة المستخرجة
 من الحفر وعند تمام استيفاء تعبئة العربات التي حمولتها ستين طنا يذهب القطار
 الى مصعد كهربائي يرفع عربة فعربة من حمولة ذات الثمانية أطنان
 الى سطح الارض حيث يفرغها على ملف من الحديد يبلغ اتساعه
 مترا « يشبه السير العريض » وطوله ستون مترا ويدور الى أعلى بميل
 خفيف وهو يحمل الحجارة حيث يوجد بجانبه عمال من العبيد يلتقطون
 الحجارة الخالية من التبر فيلقوها خارجاً ويتركون التي بها التبر إذ تختلف
 عن الاولى بوجود قطع بللورية اللون ملتصقة عليها وأثناء انتقال
 الحجارة بدوران هذا السير الحديدي ترش عليها المياه بواسطة جهاز
 تخرج منه المياه بشكل الرشاشات حتى تمنع تصاعد التراب الذي يضر
 بالرئتين فيسبب أمراضاً صدرية ويبلغ مقدار المياه التي تصرف في هذا
 المنجم يومياً مليونين من الجالونات فجزء من هذه المياه يؤخذ من نهر
 والجزء الآخر يؤخذ من قاع المنجم بواسطة طامبات خاصة ترفع المياه
 الى سطح الارض ويوجد لهذه العملية طامبة في الطبقة التاسعة عشر
 تحت سطح الارض ترفع المياه الى الطبقة الثالثة عشر حيث ترفعها طامبة
 أخرى الى سطح الارض وهذه الطامبات ترفع يومياً ثلاثمائة وخمسين
 الف جالونا من المياه التي تكرر بعد رفعها بواسطة آلات مخصوصة
 لتصير مياهاً صافية نظيفة . ان أعرق فتحة موجودة الآن هي على مسافة
 تبلغ خمسة آلاف وخمسمائة قدماً تحت سطح الارض ينزل اليها العمال
 بواسطة مصعد كهربائي يقطع هذه المسافة في خمس دقائق وذلك لثلا

يضيع من العمال وقت في نزولهم . يوجد خمسة آلاف مروحة كهربائية كبيرة لارسال الهواء اللازم للعمال تحت سطح الارض اذ تبعث اليهم مقدار ستمائة الف قدماً مكعباً من الهواء في الدقيقة الواحدة وذلك ما يلزم لأجل تنفس العمال ولايجاد جو حيوى تحت الارض . بعد فرز الحجارة وانتقاء الصالح منها ترسل الى آلات طاحنة تجعلها تراباً وتلك الآلات تطحن خمسمائة طن من الحجارة في الساعة ثم تنقل في عربات حمولة خمسين طناً الى طاحونة أخرى لإعادة الطحن وغسيله بالمياه ومع دقة هذا العمل يستخرجون مقدار ستين في المائة من الذهب الموجود بالتراب ثم بطريقة أخرى تكميلية يستخرجون خمس وثلاثين في المائة فيبقى خمسة في المائة من كمية الذهب الموجود بالتراب وهذا يعد فاقداً في اجراء هذه العملية الدقيقة لاستخراج الذهب من الحجارة والاتربة وهذا لعمري جزء ضئيل بالنسبة للفائدة الكبرى التي تنتج باستعمال الطرق الفنية والمكينات في مثل هذا العمل خصوصاً اذا حسبنا السرعة واقتصاد الوقت بفضل تلك الآلات الفنية وتلك لاشك معجزة واضحة تشهد بفضل تقدم الاختراع والفنون ، ولقد عامنا أنهم عملوا تجربة وصلوا بها في الحفر الى عمق ستة آلاف وأربعمائة قدم عن سطح الارض وهذا يكون مع مستوى سطح البحر

ذهبنا الى جانب من المنجم لمشاهدة صب الذهب وجعله سبائك فوجدنا أفرانا خصيصة لاذابة الذهب وقد صبوا أمامنا قلباً من الذهب تبلغ قيمته سبعة آلاف جنيه وهو حجم القوالب التي شاهدناها أمامنا

معدة للبيع وقد رأينا على طاولة قطعا من الذهب بحالاتها المختلفة عقب استخراجها وهي بعد تنظيفها بمواد كيمياوية تظهر ذهبها خالصا بشكاه العادى المعروف للناس

ثم مررنا بالعنابر حيث يوجد بها مختلف أنواع النجارة والحدادة والسباكة وغير ذلك من الصناعة التى تلزم للمناجم ثم ذهبنا نستعد للنزول الى المنجم فدخلنا مكتب رئيس هذا القسم حيث البسونا بالطو مثل بالطو المطر وكذلك قبعات ثم توجهنا الى المصعد الكهربائى فدخلناه وهو عبارة عن صندوق أو دولاب ضيق من الحديد وكنا ثمانية أشخاص وما كاد الباب يغلق حتى تصورت أننا قطع عنا كل وسائل الاتصال سواء بالجرس الكهربائى أو التليفون أو غير ذلك مما سبب عندى حالة عصبية أعقبها ضيق تنفس فطلبت فى الحال بشدة وتلف أن يسرعوا بفتح الباب لأتخلص وأخرج من هذا القبر قبل نزول المصعد وقد تم ذلك فأسرعوا باجابة طلبى قبل تحرك المصعد الكهربائى للنزول وذلك رغماً عن تطمينهم إياى بما يضمن عدم الجزع تحت سطح الارض نخر جنا ثم ذهبنا لمشاهدة غرفة بها ما يلزم من الاسعافات عند حصول أى حادث خطر وحقيقة انه مما يشهد بحسن النظام ودقة الاحتياط اللازم لحفظ حياة العمال بهذه المناجم ثم رأينا أسطوانة كبيرة الحجم يدور عليها سلك كبير انزول وصعود المصعد ثم ذهبنا حيث شاهدنا مساكن العميد العمال وشاهدنا مطبخاً كبيراً به اثنان وثلاثين قزاناً لطبخ غذاء العميد الذى هو عبارة عن أذرة مدشوشة

مع بعض من الخضار ورأينا امرأة زنجية خصيصة لصنع مشروبهم مثل البوظة ويقال أنه من تقاليد العبيد عدم قبولهم البوظة الا اذا صنعت بيد امرأة، ثم مررنا بغرف نومهم ومستشفى لهم وهو على جانب من النظام وحسن الادارة، ويعرض عمال العبيد على الطبيب بشكل عيادة طبية حتى اذا ما وجد بأحدهم مرض أو جرح مسبب عن العمل يرسله الى المستشفى وذلك لان العبيد يهملون الاحتياط اللازم لانفسهم وهذا يضر بهم ضررا بليغا ويضعف صحتهم الى حد خطير. ذهبنا بعد ذلك الى منزل مستر والتر مدير الادارة لتناول الشاي بدعوة منه وقد دعانا بعد ذلك المستر ايفنس لتناول الغداء في منزله الساعة واحدة بعد الظهر فذهبنا الى اللوكاندة ومن هناك ذهبنا الى منزل السير صامويل ايفنس في الميعاد المحدد فوجدناه منزلا كبيرا ذا رونق وبهاء فعرفنا بزوجته ثم أخذنا مقاعدنا بغرفة المكتبة وبعد برهة حضر المستر والتر وزوجته فدخلنا جميعا الى غرفة الطعام وكان قد أعد لنا ضمن الطعام صنفا من الارز العجمي وبعد الغداء في الساعة الثانية ونصف رجعنا الى اللوكاندة ثم خرجنا في الساعة الثالثة وربع الى ضواحي المدينة ومن الغريب أن يرى الانسان تلالا من التراب المستخرج من المناجم ويمكن القول بأن الانسان في مدينة جوهانسبرج يمشى على الذهب لانه تحت أرضها ليس هناك بالضواحي ما يستوجب الاهمية والذكر. يرى الانسان من المرتفعات أن المدينة لا شك كبيرة واسعة. رجعنا الى اللوكاندة في الساعة الخامسة وربع. يوم ١٧ مايو كان الجو ملبدا



بالغيوم التي حجبت الشمس وقد حضر في الساعة التاسعة صباحاً بعض
الهنود أحدهم رئيس الجمعية الاسلامية بتلك المدينة ومعه ولده الذي
تعلم في المدرسة السلطانية بالاستانة وهو يجيد اللغة التركية وكان معه
رجل اسرائيلي عثمانى وفي الساعة التاسعة ونصف حضر خطيب الجامع
وأصله من جاوا وهو يجيد التكلم باللغة العربية ومعه اثنين من تجار الهنود
كبيرى السن لابسين عمامة وقد أظهروا جميعاً سرورهم وفرحهم بلاقئنا
وعرضوا أن يقدموا سيارتهم لخدمتنا مدة اقامتنا بالمدينة وعرضوا
أن يدعونا للشاي ولكنى اعتذرت عن قبول ذلك وشكرتهم على
جميل احساسهم وبعده انصرفهم نزلنا لتفقد المحلات التجارية والدكاكين
وبعد الظهر توجهنا الى حديقة اسمها جيو بارك من حدائق نزهة
المدينة. في اليوم الثامن عشر صباحاً وهو يوم الاحد كان الجو معتدلاً
وحيث أنه يوم سفرنا من جوهانسبرج الى دربان أمضينا الوقت في
اعداد مهماتنا السفرية وبعد الظهر مررنا لترك بطاقة الزيارة باسمى لمن
أكرمونا بتلك المدينة ولما كان في الوقت متسع قبل قيام القطار طلبنا
من سائق السيارة أن يمر بنا حول ضواحي المدينة فأرانا طريقاً أنشئ
حديثاً صرف عليه عشرة آلاف جنيه وعلى جانبيه قلات كبيرة جميلة
لها بساتين ذات زهور مشرحة ثم مررنا وسط غابة عظيمة من الصنوبر
ولولا مشاهدتنا تلك الجهة لظننا أن ليس بهذه المدينة مناظر جميلة
تستحق الاعجاب وفي الساعة الثامنة مساء وصلنا المحطة على استعداد
للسفر وفي الساعة الثامنة والدقيقة خمسة وأربعين تحرك بنا القطار



يوم ٢٩ مايو صباحا كان الجو معتدلا وأدفاً منه بجو هانسبرج
 والمناظر لم تتغير فأراضى المرعى واسعة ولحلول فصل الشتاء ترى
 الارض صفراء اللون لذبول النبات والشجر أما الجبال والتلول ترى من
 مسافة بعيدة بلون جبل المقطم ، وأول محطة صادفناها تسمى لادى
 سميث وهى مرتفعة عن سطح البحر بثلاثة آلاف ومائتين أربعة
 وثمانين قدماً وعدد سكانها ثمانية آلاف نصفهم من البيض والنصف
 الآخر من الزنوج واسم هذه البلدة أطلق عليها نسبة الى اسم سيدة
 اسبانية كان قد أنقذها من حادثة خطيرة من يدعى السير هارى سميث حاكم
 الكاب ثم أحبها وتزوج بها فصار اسم هذه البلدة تذكراً لحادثة خطر
 فنجاة فحب فزواج . اشتهرت هذه البلدة بالمقاومة العنيفة التى أبداها
 الترنسفاليون فى حربهم ضد الانجليز . ليس هناك ما يستحق الذكر
 فى طريقنا الى مدينة ماريتزبرج عاصمة الناتال وهى على ارتفاع قدره
 الفان ومائتان قدم عن سطح البحر ويبلغ عدد سكانها ثمانية عشر الفا
 وخمس مائة من الجنس الابيض وثلاثة عشر الفا من العبيد وسبعة
 آلاف وثمانمائة من الهنود وهى ذات منظر جميل بين الاشجار ويوصل
 اليها طريق مرتفع ومما يستحق الذكر فيها هى دار المحافظة صرف فى
 انشائها مائة الف جنيهها وبها آلة الارغن الموسيقية « Orgue » بلغ تكاليف
 انشائها عشرة آلاف جنيه وهى فى صالة فسيحة تسع الف وأربعمائة
 شخصاً بجالة الجلوس وبها مكتبة نفيسة تحتوى على قسم من الكتب
 الفرنسية وآخر الانجليزية وثالث من الكتب الهولندية ورابع من



الكتب الالمانية . بالمدينة هياكل عديدة والعمل جار لتسيير قطارات السكة الحديدية بالقوة الكهربائية التي ستكون منبعها من هذه المدينة لمناسبة اجتيازنا الآن بقاعاً تقرب شيئاً فشيئاً من ساحل البحر نرى الارض منبته ومغطاة بالاشجار وهي بالنسبة للبقاع الاخرى اكثر سكانا وعمرانا . قبل وصولنا الى مدينة دوربان مررنا من نحو أربعة سراديب تحت الجبال وهي أول مرة رأينا فيها سرداباً بجنوب أفريقيا ، ثم وصلنا في الساعة السادسة ونصف مساءً بفضل عناية الله الى مدينة دوربان التي لها محطة كبيرة فوجدنا مندوب شركة كوك في انتظارنا بالمحطة فتوجهنا الى فندق مارين أوتيل وهي أكبر فنادق المدينة

دوربان ، ميناء ذات أهمية كبرى وتعد من المدن العظيمة بجنوب أفريقيا يبلغ تعداد سكانها خمسين الفا من الجنس الابيض وستة وثمانين ألفاً من العبيد وخمسة وعشرين الفا من الهنود . أسست تلك المدينة سنة ١٨٢٤ حيث اطلق عليها اسم دوربان نسبة الى حاكمها السير بنجامان قبل ذلك كان اشترى الهولنديون من قبائل الزنوج سنة ١٦٨٥ تلك الميناء لتكون محطاً لرحلاتهم البحرية ولكن تركوها عندما فقدوا سفناً كثيرة وذلك لعدم ملائمة الميناء . ثم جاءها في سنة ١٨٢٣ ضابط انجليزي برتبة ملازم وزار الميناء والجهة المجاورة لها ثم طلب من الحاكم الانجليزي أن يضم تلك الميناء الى الممتلكات الانجليزية وكانت حينذاك تابعة لقبائل عبيد الزولو ولهم رئيس عليهم كأمير أو حاكم يدعى شاكا اشتهر بالقسوة لما كان يعمل فيهم من الاسراف في

القتل والفتك بهم حتى قل عددهم وهرب كثير منهم بدافع الخوف والارهاب من حاكمهم الطاغية وقد تم في ذلك الحين اتفاقا بينه وبين الانكليز على أن يدع لهم بمعنى التنازل ثلاثة بلاد وهي دوربان وبلاوف ونقطة أخرى على نهر أمبيلو وفي سنة ١٨٢٨ انتهت أيام ذلك الحاكم الجبار شاكا بأن قتله أخوه دينجان الذي تقلد الحكم بعده وعلى أثر ذلك انضم فريق من أعدائه الى جانب الانكليز فدفع الغيظ هذا الحاكم الجديد الى الانتقام منهم ومحاربتهم والانكليز معا ولكن تغلبت عليه القوة الانجليزية وقهرته تحت قيادة مستر فين الذي استمال اليه كثيراً من العبيد بتلك الجهات حتى اتخذوه رئيسا عليهم ومرجعا لهم ولما بلغ تقدم البوير في البقاع شمالا الى أن وصلوا حدود الناتال سنة ١٨٣٥ طلبوا من دنجان أن يعطيهم جزءاً من الاراضي فقبل منهم ذلك وتنازل لهم عن اراض طلب منهم نظيرها بأن يعوضوه بقره ومواشيه الكثيرة التي فقدها وسلبت منه فأجاب الترنسفاليون طلبه ولما ذهب مندوبو الترنسفاليين لامضاء الشروط المتفق عليها وتسليم البقر في حوش كبير غدر بهم ذلك الملك وجعل عبيده يقتلون مندوبي الصلح البالغ عددهم مائة شخص ولم يفلت بحياته من القتل الا واحداً أسرع ببلاغ الخبر المشؤوم الى الترنسفاليين وقد أعجب الملك الجهول بتلك المذبحة الدنيئة وسر بما عمله عبيده وأصدر لهم أمراً بأن يقتلوا كل من صادفوه من الجنس الابيض فقتلوا نحو ستمائة بين رجال ونساء وأطفال وقد أطلق على هذه البقعة بعد ذلك اسم وينان ومعناه باللغة الهولاندية دموع

البكاء وذلك اشارة الى الحزن على من قتل من جنسهم
 قام بعد ذلك الحادث المريع قسم صغير من البوير واتفق مع القوة
 الانجليزية المجاورة على الانتقام من هذه القبائل ولكن لما لم تكن قوتهم
 كافية لتنفيذ غرضهم ولما شعروا بقرب انهزامهم عمدوا الى
 الهروب العاجل طلبا للنجاة وفي سنة ١٨٣٨ قام اربعمائة من البوير
 « الترنسفاليين » تحت قيادة المسمى أندريان بيتورياس وفاجأهم بهجوم
 شديد ابتغاء القضاء على الملك دينجان حاكم العبيد الذي كان تحت
 قيادته أحد عشر ألف نفسا فقتل من العبيد ثلاثة آلاف وأسر منهم
 سبعة آلاف أسير وقد جعل هذا اليوم عيداً يحتفل به كل سنة في
 مارتنبورج اذ تقام أيضاً الصلاة بالكنيسة التي بنيت لهذا السبب
 وبعد هذه الضربة القوية انقسم عبيد الزولو الى قسمين قسم مع دينجان
 السابق الذكر وقسم مع أخيه الصغير الذي طلب من الانجليز والبوير
 امداداً له ليستعين به على أخيه فأرسلوا اليه اربعمائة مقاتل تحت قيادة
 بريتورياس وكان مع أخ دينجان الصغير خمسة آلاف مقاتل فهجموا
 جميعاً على دينجان وكان ذلك في سنة ١٨٤٠ ففازوا بقتله الذي انتهت به
 مشاكه وأخذت كل أراضيه وأيضاً نحو ستة وثلاثين الفا من البقر
 وقام البوير ووضعوا على الاراضي المحتلة علمهم وأطلقوا عليها اسم
 جمهورية الناتال ولكن الانجليز لم يعترفوا بهذا العمل وأرسلوا مائتين
 من الجنود الانجليزية لتقوية المعسكر بدوربان ثم حصل خلاف بين
 الفريقين تخلله بعض مشاكه كل انتهت في سنة ١٨٤٣ بأن صارت الناتال

مستعمرة انجليزية وانسحب الترنسفالليون الذين ابوا أن يبقوا تبع
السلطة الانجليزية ولذلك تولى أغلب بلاد الناتال يسكنها انجليزاً أكثر
من البوير وفي سنة ١٨٧٩ قام عبيد الزولو مرة أخرى بحاربون
الانكليز وفي هذه الواقعة قتل ابن نابليون الثالث وهو البرنس
الامبراطورى وكان ضابطاً برتبة ملازم بالجيش الانجليزى

وفي سنة ١٩١٠ انضمت الناتال الى حكومة اتحاد جنوب افريقيا
في يوم ٢٠ مايو كان الهواء يعصف بشدة واستمر المطر أيضاً
لغاية الساعة العاشرة ونصف ولما هداً الجو خرجنا للمشى قليلاً ثم عدنا
وقت الظهر الى اللوكاندة وبعد الغداء ركبنا سيارة ومررنا بداخل
المدينة لمشاهدة المباني الكبيرة والجرك والميناء فالضواحي

اللوكاندة واقعة على خليج كبير به رصيف صرف على انشائه
مبلغ ستين ألفاً من الجنيهات وعلى نهاية الرصيف توجد فسقية بوسطها
تمثال البحار البرتغالى المشهور ويدعى فاسكودى غاما وهو أول من
اكتشف منطقة الكاب والهند عن طريق رأس عشم الخير

المد والجزر في هذا الخليج بنسبة كبيرة حتى أنه في وقت الجزر
ترى الخليج قد غابت مياهه وظهرت أرضاً مليئة تمشى عليها الناس والزوارق
راسية على الرمال ومدة الجزر ست ساعات يرى فيها الخليج جافاً غير
صالح للملاحة ولكنهم احتفروا قناة لتساعد على مرور السفن وقت الجزر
الشوارع بتلك المدينة واسعة كما هي في غيرها من مدن افريقيا
الجنوبية. ذهبنا في سيارتنا الى شاطئ البحر حيث توجد حمامات البحر



وفنادق كبيرة ثم مررنا بحدائق عديدة وبمساكن العمال والطبقات الصغيرة ثم توجهنا الى بقعة مرتفعة يسكنها الاغنياء بها منازل ذات رونق وبهاء تحوطها بساتين جميلة وحدائق مزدهرة يانعة ويزيد هذه البقعة جمالا أنها تطل على البحر وبذا توفرت فيها دواعى الانشراح . عند مغادرتنا تلك الجهة مررنا بالفاوريقات المختلفة وهى واقعة بقرب النهر فى طرف المدينة

لاحظنا وجود أفراد من الزنوج فى وظائف البوليس النظامى علاوة على ذلك الموجود من نفس الجنس الابيض . يوجد بالمدينة عربات صغيرة للركوب تسمى ريكشور يجر الواحدة منها زنجى بمفرده وأغلب المحترفين بهذه المهنة عبيد الزولو وهم أقوياء البنية ممتلئو الجسم معتدلو القامة ومما يستلفت نظر الأجنبي اليهم أنهم فى زى غريب مضحك اذ من عادتهم ان يضعوا على رؤوسهم قرون الحيوانات وريش الطيور بالوان مختلفة وعلى ظهورهم جلود الحيوانات وأغلبهم يلونون سيقانهم من الركبة الى القدم بالبوية البيضاء على شكل الجوارب ثم عدنا الى اللوكاندة فى الساعة الخامسة ونصف مساء

يوم ٢٨ مايو كان الجو معتدلا والشمس ساطعة وفى الساعة التاسعة ونصف ذهبنا بالسيارة الى حديقة النباتات فوجدت بها مجموعة من النباتات المختلفة ذات قيمة تذكر ولاكنها لم تصل الى حد ما سمعت عنها قبلا . من هناك توجهنا لمشاهدة استحكام قديم « طابية » ثم عدنا الى الفندق الساعة الثانية عشر ونصف وبعد الظهر ركبنا السيارة بقصد



التزهر فررنا على كوبرى كبير فوق نهر الاونجنى الذى لو لم يكن عليه هذا الكوبرى الكبير لظن الانسان أنه ترعة صغيرة والواقع أن مياهه فى وقت الفيضان تعلو بنسبة عظيمة حتى أنه أغرق بفيضانه ذات مرة اربعمائة من الهنود اكتسجهم من قرب مساكنهم . ثم صعدنا الى مرتفع وسط الاشجار لتناول الشاى فى قهوة صغيرة هناك وكنا قد علمنا بوجود نسائيس بتلك الغابة فأشاروا علينا بأن نشترى بعضاً من الفاكهة لتعطيها للنسائيس على سبيل التسلية فجاء خادم هندى من القهوة ومعه كمية من الموز وصار ينادى النسائيس كما ينادى بعضهم الدجاج فرأينا نحو عشرين من هذه النسائيس اقبلت حولنا لآخذ الفاكهة التى نعطيها لها وقد تعودت على ذلك فلا تهرب من الانسان حتى أنها تقرب لآخذ الفاكهة من أيدينا دون خوف ومما يضحك أن عدداً منها انتهمز وجود سيارة واقفة بجوارها ولم يكن عليها أحد فانتهمز النسائيس فرصة خلوها وفى لحظة واحدة التفوا حولها ثم قفزوا عليها وأخذ كل واحد مقعد له فكان بعضها على السلم وعلى الزجاج وفوق الموتور وداخل السيارة وبالاختصار احتلوها احتلالاً وقتياً لآخذ نصيب من التسلية واللعب كما هو معروف عن هذا الجنس

أثناء عودتنا استلقت السائق نظراً الى منازل عظيمة أخبرنا أنها لبعض الاغنياء من الهنود ويوجد منهم أيضاً كثيرون يحترفون بحرف صغيرة مثل زراعة الفاكهة والخضار وبيعها وتكاد تكون هذه الحرفة خاصة بهم ثم وصلنا الى الفندق الساعة الخامسة ونصف



في صبيحة يوم ٢٢ مايو كان الجو معتدلاً لطيفاً فذهبنا لزيارة دار الآثار التي في دار المحافظة حيث يوجد أيضاً دار كتب واخرى للصور والرسومات وفي الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا السيارة قصد الرياضة والتنزه على تلال بعيدة عن المدينة فررنا باطراف المدينة على قسم يسكنه الهنود وقد لاحظنا انهم حقيقة يشتغلون بزراعة اشجار الفاكهة والخضار وكنا نرى المدارس الهندية في كل قرية نمر بها وقد ألفت السائق نظرنا الى منزل من الطوب الاحمر وأخبرنا ان صاحبه شيد بناءه بمفرده في مدة تسع سنوات ولم يشترك معه في بنائه احد ثم مررنا ببنت صغير يقال أن صاحبه امرأة عجوز بلغت من العمر مائة وتسع سنين حضرت الى دوربان منذ مائة سنة أي من يوم انشاء المدينة

كنا في سيرنا نزل في واد ثم نعلو الى مرتفعات وتلال وكذلك الى أن وصلنا الى تل يسمى تل بوئا حيث أوقفنا السيارة لنمشي قليلا على اقدامنا فرأينا منطقة جبلية ذات تلال متجانبة وتسمى « بالتلال الالف أو الالف تل » وكذلك باقى جهات الناتال كثيرة التلول والوديان بلغنا في سيرنا الى نقطة ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٢٦٠٠ قدم وبعد أن رأينا من عاليها تلك المناظر الطبيعية الجميلة رجعنا الى المدينة واثناء عودتنا مررنا بشاطئ البحر حيث كان وقت الغروب فكنا نرى البحر والسماء والرصيف المبلل بمياه البحر كل ذلك كنا نراه وردى اللون مما يستوقف الأنظار

يوم ٢٣ مايو كان الجو دافئاً فنزلنا في الصباح للمشى قليلاً على
 الاقدام فذهبنا الى محل كوك لنطمئن عن تمام الاستعداد للسفر في
 الغد وبعد الظهر في الساعة الثالثة ذهبنا تجاه دار المحافظة واخترنا
 عربتين من الريكشور التي يجر الواحدة منها رجل من الزوج فركبنا
 الى شاطئ البحر حيث توجد الحمامات واستخر جناسورتنا الفوتوغرافية
 ونحن على عربات الريكشور وبعد زهاء الساعة ونصف قفلنا راجعين
 الى الفندق

في الساعة العاشرة والنصف صباحاً من يوم ٢٤ مايو ذهبنا الى
 المحطة سيرا على الاقدام اذ كان لدينا متسع من الوقت ثم قام القطار
 في الساعة الحادية عشر والدقيقة عشرين وقد وجدنا بالصدفة ان خدم
 القطار هم الذين كانوا معنا أثناء سفرنا الى دوربان حيث أن الطريق لغاية
 باتيلهايم هو عين طريقنا أثناء سفرنا من جوهانسبرج وهناك تتفرع
 الطريق الى الجنوب بجهة بلومفونتين عاصمة بلاد الاورانج والاراضي
 بتلك الجهات مسطحة والتلول قليلة جداً وليس بها أشجار لعدم وجود
 الامطار بقدر الكفاية ولذلك يمتد البصر الى مسافات بعيدة ويفهم من
 قلة المساكن والقرى بتلك الجهة انها قليلة السكان

أثناء سيرنا مررنا بضيفة للحكومة تسمى نيوبارى استيتس قد
 وضعت الحكومة بها عدداً كبيراً من أنواع الغزلان بحالة طبيعية
 وذلك للمحافظة على بقاء النجا . ثم مررنا بمحطة تسمى وستمنستر
 ولما عجبنا لهذا الاسم أفهمنا بعضهم انها سميت كذلك لوجود ضيفة



« تفتيش » واسعة للدوق أوف وستمنستر يستعملها تربية البقر والغنم .
 وفي الساعة الثانية الاربع مساء وصلنا الى بلوم فونتين وهي ترتفع عن
 سطح البحر بمقدار ٤٥١٨ قدما وهي مع كونها عاصمة الاورانج تجدها
 بلدة صغيرة بها من السكان ١٧٨٠٠ من الجنس الابيض و ١٩٢٠٠
 من الزنوج وليس لها أهمية تاريخية وقد نزع اليها بعض من البوير
 والهولانديين الذين قدموا من جهات الكاب سنة ١٨٥٢ وبعد ذلك في
 سنة ١٨٨٠ ابتدأت البلدة في الاتساع فشكوا لها مجلسا بلديا وجعلوها عاصمة
 الاورانج وليزيدوها أهمية بين المدن الكبرى اعتبروها مركزاً للحكمة
 الاستئناف العليا لجميع بلاد جنوب أفريقيا ولم يحصل بها خسائر اثناء
 الحرب النرنسفالية لان مدافعتها كانت طفيفة ضد الجيش الانكليزي
 وسقطت في مدة وجيزة

بعد هذه المحطة سار الفطار في طريق مستقيم وسط صحراء
 مغطاة بالاعشاب وبها كثير من الحيوانات ولكن المياه بتلك البقاع
 قليلة جدا لدرجة شاقة ويظهر أن تجارة الاصواف من الحيوانات
 والاعناب رائج في تلك الجهات وفي الساعة الخامسة والدقيقة عشرين
 مساء وصلنا الى مدينة كيمبرلي حيث كان بالمحطة في انتظارنا نفر من
 أوتيل سافواي

تلك المدينة تابعة في ادارتها لحكومة الكاب وهي على ارتفاع
 ٤٠١٢ قدما عن سطح البحر ويبلغ عدد سكانها ١٨٢٢٥ من الجنس
 الابيض و ٢١٠٩٥ من العبيد وقد انشئت في سنة ١٨٧٠ لمناسبة اكتشاف

الماس بأراضيها فأمرها كثير من السكان وأخذت في الاتساع وفي سنة ١٨٩٥ اتصلت بها السكة الحديدية من الكاب
ابتداءً تاريخ وجود الماس هناك بواسطة رجل يسمى أوريللى
حيث وصلته قطعة ماس حجمها ٢١ قيراط وربع من رجل هولاندى
يجعل قيمتها فاشتراها آخر يدعى السير ودهاوس من أوريللى بمبلغ
خمسماية جنيهه وقد أعطى أوريللى نصف هذه القيمة طوعاً من نفسه
الى الرجل الهولاندى بدافع شرف الذمة والضمير ولما علم الهولاندى
بالقيمة العظيمة لذلك الجوهر النفيس اشترى من أحد العبيد من قبيلة
هتنتوت قطعة ماس تبلغ ثلاثة وثمانين قيراطا ونصف بمبلغ أربعماية
جنيه ثم باعها بمبلغ أحد عشر الف ومائتين من الجنيهات وهى قطعة
شهيرة معروفة اليوم باسم نجمة افريقيا الجنوبية وهى الآن فى حوزة
الكونتيس دادلى وتقدر قيمتها الآن بخمس وعشرين الف من الجنيهات
ولما ظهر الماس بكثرة بهذه الاراضى اختلفت حكومتا الكاب
والاورانج الحرة فى أحقية الملكية لهذه الاراضى لأنها واقعة على
الحدود وكان ذلك فى سنة ١٧٧٨ وأخيراً تم الاتفاق بينهما على أن تكون
ملكاً لحكومة الكاب التى تعطى لحكومة الاورانج تسعين الف
جنيهاً نظير تنازلها نهائياً عنها وفى سنتى ١٨٨٢ و ١٨٨٣ وضع قانون
مشدد بخصوص الماس لحصر ما يكتشف منه فأخذت شركة دى
بيرس امتياز المناجم فى هذه الجهة ثم أخذت أخيراً امتياز الماس
بأراضى مستعمرة غرب افريقيا الالمانية بعد انتهاء الحرب الكبرى



يوجد هذا الجوهر بالاراضى الزرقاء اللون ويوجد هناك بالمناجم
خمس فتحات يجرى العمل فى ثلاث منهم واثنين موقوف العمل فيها الآن
وقد نزلوا الى نحو ١٣٠٠ قدم تحت سطح الارض وذلك بمساعدة
الآلات الميكانيكية بينما كانوا قديماً يبحثون عن الماس على
سطح الارض

يوجد حول منطقة اراضى المنجم اسلاك حديدية شائكة لمنع
المرور بتلك الاراضى

فى صبيحة يوم ٢٥ مايو كان الطقس بارداً ولكن الشمس
كانت مدفئة وفى الساعة العاشرة صباحا جاء احد رؤساء شركة
الماس الى الاوتيل ليصحبنا فى مشاهدة كيفية استخراج الماس فررنا
من بوابة بعد ان ابرز لحارسها ورقة اذن بالمرور وقد رأينا أولاً
الحجارة المستخرجة من بطن الارض تلقى بين آلات لتكسيورها اذ
تجعلها قطعاً بحجم اربع بوصات وبعد غسلها بماء يصب عليها ترسل فى
عربات بشكل الصناديق الى آلات اخرى لتكسير تلك القطع بواسطة
الضغط فقط حتى تصير قطعاً صغيرة وهذا الجهاز من الآلات مصنوع
بحساب يسمح لقطع الماس بالمرور دون تلف ثم تنقل تلك الاتربة
والحجارة الصغيرة ممزوجة بالماء الى آلات اخرى حيث هناك يمر
التراب والحصى ويبقى الماس فيلتهقطوه ثم يجمع التراب والحصى ثانياً
وينقل الى جهة اخرى بها جهاز يختلف عن الاول وتلك العربات التى
تنقل الاتربة الى الفرز مقفولة بمفتاح ويجرها وابور بخارى ويشغل

ضمن العمال مسجونون من العبيد وكل الآلات مداراة بقوة الكهرباء
ركبنا السيارة بعد مشاهدة هذا الجزء وقصدنا آخر قسم في المناجم
وهو الذى يستخرجون فيه فصوص الماس حيث يميزوها بما لهم من
المعرفة والتجربة من باقى المعادن والاحجار العديدة القيمة وعند وصولنا
الى هذا القسم استقبلنا رئيس ادارته الذى تعارفنا به ثم ارانا كيف
تصل العربات الحديدية المقللة الى أن تفتح فيفرغ ما بها فى ماسورة
كبيرة بها قوة ضاغطة من المياه لرفع الحصى الممزوج بالماء الى أعلا ثم
الى ما كينات ينحدر منها الى غربال هزاز غير مثقوب ومدهون
بالشحيم يهتز بنسبة معتدلة فينحدر الماء بالتراب والحصى ويبقى الماس
اثقله ملتصقا بالشحيم وهكذا توجد غرايبيل أخرى مختلفة للماس
الصغير الحجم والكبير منه

قد علمنا أن الشركة تفضل الماس الصغير الحجم لرواجه فى
الاسواق ولاقبال التجار عليه لكثرة طلبه واستعماله حتى أنهم يسمونه
« خبز مدهون بزبدة » وأما القطع الكبيرة بما أنها غالية الثمن ولا
تستعمل الا للزينة فقط عند أهل اليسار والبذخ فقليل طلبها وذلك
بعكس القطع الصغيرة التى تطلب بكثرة لانها تستعمل أيضا فى بعض
الصناعات وكثير من الحرف قطع مثل الزجاج وقطع الاحجار وتسوية
القطع الكبيرة من الماس وغير ذلك . ثم دخلنا غرفة بها رجال
فنيون أو اختصاصيون لفرز الماس حسب نوعه وقيمه ولقد بلغ بنا
الاعجاب مبلغا عظيما لرؤية هذا العمل الذى يدهش العقول لما وصل



اليه تفنن الانسان في الاختراع والاتقان حتى جعل هذه الآلات
الكثيرة سائرة بنظام دقيق وبترتيب مضبوط لتخرج ما صنعت
لاجله بتمام الدقة والسهولة . ذهبنا بعد ذلك لرؤية مساكن العمال من
العبيد الذين يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف خلاف المسجونين وهذا
العدد من العمال له مساكن داخل حوش كبير مربع في وسطه غرف
للنوم وبجانبها مطبخ كبير ومحل لبيع ما يحتاجون اليه من الخارج
فيمكنون أربعة أشهر هي مدة الشغل لمن رغب ذلك ويبيتون في
هذه المساكن لانه غير مصرح لهم بالخروج أو الاختلاط بأحد من
الخارج وفي نهاية تلك المدة يؤتى بمن جاء دوره للخروج فيكشف عليه
الطبيب كشفا دقيقا ثم يعطى مسهلا ويحجز في غرفة على انفراد تحت
المراقبة مدة سبعة أيام حتى يتأكدوا من عدم اخفائه قطعاً من
الماس في بطنه أو تحت جلده لانهم وجدوا بعضاً من العبيد يقطعون
جلد جسمهم ويضعون تحته الماس ثم يخيطون الجلد ثانياً

علمنا أن الشركة محتكرة من الارض ما يبلغ مساحته ١٥٠ ميل
مربع حول المدينة وكل قطعة ماس يجدها أي انسان في هذه المنطقة
تعتبر تابعة للشركة والقانون يحتم اليه ايصالها الى الشركة أو لمركز
بوليس فان لم يفعل ذلك أو يخفي ما وجده يعاقب عقاباً شديداً وأيضاً
كل من يشتري قطعة ماس من هذا القبيل يسجن سبعة عشر سنة ولرؤساء
الشركة شأن عظيم في تلك المدينة وسلطة واسعة اذ يوجد تحت أمرهم
بوليس سرى لهذا الغرض

قد ختمنا زيارتنا للمناجم برؤية أول فتحة وجدت وهي كبيرة وعميقة .

كانت طريقة الحصول على الماس قديماً بواسطة عمال يحفرون في الارض بمعاولهم وفؤوسهم ليعثروا على هذا الجوهر ولما بلغ الحفر الى عمق ثلاثمائة قدم عن سطح الارض كانت تتساقط الاحجار والارتبة على الاشخاص اثناء عملهم فنحدث لهم اصابات خطيرة قد تؤدي الى موت بعضهم ولم يكن وقتئذ للآلات الحديثة التي تسهل العمل وتوجب الاطمئنان وجود فأوقفوا العمل في هذه البقعة اجتناباً للخطر واشترت الشركة تلك الاراضي لتستأنف فيها العمل بقوة الاختراعات الحديثة فيما بعد .

بعد مشاهدة ما تقدم مررنا بجهة يبنون فيها بيوتاً جديدة للعمال الافرنج وقد رأينا هناك حديقة كبيرة يبيعون منها أنواع الفاكهة وبها أيضاً كرم من العنب على تكهيبية واحدة مستقيمة يبلغ طولها ميلاً أو اكثر وفي الساعة اثني عشر ونصف ظهراً عدنا الى الفندق .

في الساعة الثالثة والرابع مساءً توجهنا الى مكتب ادارة الشركة وصعدنا الى الدور الاول فاستقبلنا أحد الموظفين ليدلنا على مشاهدة ما هنالك فألقت نظرنا الى صور فوتوغرافيه للمناجم منذ حالتها القديمة في بادئ الامر وكذا الاكواخ الحقيرة التي كان يسكنها العمال من الأهالي الذين يفدون من ديارهم البعيدة للبحث عن الماس نظير قيمة من النقود عن كل قطعة يجدونها من الماس وكان من سوء حظ بعضهم



أن يمكثوا أعواما عديدة يكابدون فيها عناء العمل وبؤس العيش دون أن يعثروا على قطعة من الماس ليأخذوا من الشركة أجرهم اذ لا أجر لاي عامل الا اذا وجد ماساً وبذلك كان بعض هؤلاء الفقراء يعودون بخيبة الامل وبعضهم كان يموت فريسة الفقر والجوع والشقاء

بعد رؤية تلك الصور وغيرها رافقنا هذا الموظف الى باب موصل عليه زرار جرس كهربائي وبدقه فتحت طاقة صغيرة بالباب أطل علينا منها شخص ليتبين القادمين ثم فتح الباب فدخلنا الى غرفة واسعة استقبلنا بها موظف آخر دلنا على ما بالغرفة وفسر لنا كيفية فرز الماس بحسب قيمته وكان أمامه في تلك اللحظة كمية تساوي مائة وأربعين الف جنيهها أعدت لارسالها الى إنجلترا

عند ما يكثرت طلب الماس يرسلون كل خمسة عشر يوما رسالة واحدة محدودة القيمة وقد أخبرنا أنهم باعوا في السنة الماضية من جوهر الماس ما قيمته أربعة ملايين من الجنيهات وقد أخبرنا أن الالماس في تلك الشركة اعطت من الربح جنيتها عن كل سهم قيمته أحد عشر جنيتها ثم أرانا الالوان المختلفة في الماس وقال لنا أن اللون النادر الثمين القيمة هو الماس الذي يشبه لون السكرمان القاتم اللون وقد أفهمنا أيضاً عيوب الماس التي تحط من قيمته ثم انصرفنا من هناك ومررنا في وسط المدينة بمستشفى ثم بتمثال سسل رود على جواده ثم ذهبنا الى جهة تسمى الكسنندر فونتين وقد رأينا في طريقنا هيكلًا عظيمًا يمثل الجنود الانكليزية الذين قتلوا في حرب البوير ستة ١٨٩٠ وأمام الهيكل مدفع

كبير صنعه شخص من مدينة كبرلي وقدمه هدية للجيش المحارب
(الانكليزي)

الكسندر فوتين تبعد ستة أميال ونصف جنوباً من كبرلي
وهي الجهة الوحيدة التي يقصدها الأهالي للفسحة والرياضة أيام الصيف
وقد بنت هناك شركة الماس فندقاً عظيماً وسط بستان جميل حوله
أشجار كبيرة بشكل غابة بديعة . بعد مشاهدة ذلك رجعنا الى المدينة
فمررنا بتمثال الملكة فكتوريا وتوجهنا لمشاهدة دار الآثار الصغيرة
لتلك المدينة ثم وصلنا الى الفندق

في يوم ٢٤ مايو صباحاً أعدنا عدة السفر وأخذنا القطار في الساعة
العاشرة والنصف صباحاً وجهة مدينة الكاب وكان الطريق في أوله
ير من صحراء جرداء أرضها رملية لا يوجد عليها المطر الا قليلاً فلم نر
بها سوى بعض غزلان وقليلاً من الطير

ان من يرى تلك القفار الواسعة المجدبة يمكنه أن يقدر الصعوبات
والعقبات الطبيعية التي اعترضت الجيوش الانكليزية وما كابدوه من
المشاق أثناء حرب الترنسفال قبل انشاء السكة الحديدية واختراع
الأتوموبيلات بأنواعها والطيارات التي بفضلها سهل السير والسفر وضمن
الاتصال بين أقطار الدنيا

مررنا بالقطار على كوبريين كبيرين على نهرين لم يكن بهما شيء
يذكر من الماء أحدهما نهر مودير الذي وقعت بجانبه حروب كثيرة
والآخر نهر الاورانج الذي سميت ولايات الاورانج باسمه ثم وصلنا

في الليل الى بلد تسمى آر تتفرع منها سكة حديدية الى مستعمرة غرب
أفريقيا التي كانت تابعة للامان قبل الحرب العالمية الكبرى

يوم ٢٥ مايو صباحا كان الجو بارداً واختلفت المناظر عن أمس
وكذا الأراضي أهلة بالسكان مغطاة بكثير من أشجار الفاكهة مما يدل
على اهتمام الناس بالثروة الزراعية. ثم مررنا بمحطة تولباخ وهي مشهورة
بزراعة العنب والنباتات وبكثرة الزهور الجبلية حتى أنه يقام بها في
كل عام معرض توجد فيه أنواع حجة من الزهور

باقتربنا من مدينة الكاب رأينا كثيراً من شجر الصنوبر وقد
وصلنا الكاب في الساعة الحادية عشر ونصف صباحاً حيث كان في
انتظارنا بالمحطة مدير مكتب شركة كوك و مندوبو الفندق فركبنا
السيارة وذهبنا الى فندق مونت نيلسون وهو من أكبر فنادق
جنوب أفريقيا

نزلنا في الساعة الثالثة بعد الظهر لتنفقد المدينة سيراً على الاقدام
فررنا من طريق بجانبه على امتداده أشجار عالية يوصل الى الشارع
الكبير المسمى أدولي استريت فشهدنا ما به من الحوانيت ومحال التجارة
ثم دخلنا الى المحطة (محطة السكة الحديدية) التي بها مثل بعض محطات
بلاد المانيا والنمسا اذ يوجد بأفنيته دكاكين صغيرة فيها بضائع وهي
تعلن عن الدكاكين الكبيرة التي بالمدينة وأثناء عودتنا مررنا بمحديقة
الزهرة العمومية فوصلنا الفندق في الساعة الخامسة مساء

يبلغ تعداد مدينة الكاب مائة واثنى عشر الفاً من البيض أى

الأوروبي الاصل وثلاث وتسعين ألفاً وثمانمائة من العبيد والشرقيين وقد ضموا الى المدينة في سنة ١٩١٣ كثيراً من الضواحي التي حولها حتى صارت مساحة المدينة تسعة وخمسين ميلاً مربعاً وهي العاصمة الثانية والعاصمة البرلمانية لحكومات جنوب أفريقيا المتحدة كما أنها أكبر مدينة للعلوم هناك

أول من اكتشف الكاب هم البرتغاليون ولكنهم تركوها بعد أن تشاءموا بقتل حاكم مستعمراتهم الهندية الذي قتل مع بعض رجاله أثناء مروره بها وفي سنة ١٦٥١ أرادت شركة الهند الهولندية أن تجعل تلك الميناء قاعدة بحرية للمواصلات في طريقها الى الهند وقد وافقت حكومة هولندا على ذلك المشروع فأصدرت أمرها الى أحد رجالها المسمى فان رى بيك بالسفر الى الكاب لتحقيق المشروع وزودته بثلاث سفن فوصلها في مائة وأربعة يوماً وهي المدة التي كان يستغرقها السفر عادة الى تلك الناحية فترك بها مائة من رجاله الهولنديين وعاد هو الى هولندا التي علمت حكومتها منه أهمية تلك الجهة فأرسلته ثانياً ليكون حاكماً عليها وليجعلها مستعمرة هولندية وعند وصوله الى الكاب في المرة الثانية بدأ عمله بإنشاء استحكام منيع للمدافعة براً وبحراً ونصح من معه بالاهتمام بأمر الزراعة لايجاد البقول والخضر والمأكولات وبالاكثر من تربية المواشى النافعة ولما كانت الوحوش منتشرة بكثرة في الجبال حول تلك الجهة عمل على مطاردتها ليأمن الناس في أعمالهم ومزارعهم فجعل مكافأة قدرها خمسة وعشرين شلناً لكل عبد يصيد سباعاً واثني

عشر شلنًا لمن يصيد نمرًا وعشرة شلنات لمن يصيد ضبعًا وكانت هذه القيمة من المكافأة تعد كثيرة جدًا في ذلك الحين خصوصًا اذا علم للجبل الحاضر أن قان ريبك الشهير بصفته حاكمًا كان يتقاضى من حكومته سبع جنيهات وعشرة شلنات مرتبًا شهريًا عن خدمته الجليلة وبذلك تحسن الحال وعم الامان شيئًا فشيئًا واطمان الناس في عملهم ثم استحضرت العنب من بلاد المانيا وزرعوه بتلك الجهات وكان لهم من أخشاب الاشجار تجارة رابحة ثم شيد مستشفى كبيرًا لمعالجة البحارة الذين يذهبون الى الهند ويعودون منها وكان قد شرع هذا الحاكم الشهير في استحضار المسجونين الصينيين وغيرهم من المستعمرات الهولندية بجاوه والهند لاستخدامهم في تشييد الابنية وغيرها الا أنه لم ينجح في ذلك لاسباب عديدة . وفي سنة ١٦٤٩ ميلادية غرقت بجهة الكاب سفينة كان عليها ٣٥ عائلة فرنسية من البروتستانت الذين فروا الى بلاد الهند للنجاة من المذابح الدينية التي كانت مشتعلة في فرنسا بين الكاثوليك والبروتستانت فأخذ من نجا من هؤلاء الناس وقبلهم ليتوطنوا بلاد الكاب وبذلك كثر لديه العاملون من الجنس الابيض وفي سنة ١٦٦٢ نقل فان ريبك حاكمًا لجاوه بدلًا من الكاب التي جاءها حاكم يسمى جان أوفريبك بعد ثلاث سنوات وقد رأى هذا الحاكم الجديد ضرورة امتلاك شبه الجزيرة الواقعة بجوار الكاب وكان يسكنها قبائل زنوج الهوتنتوت فاتفق معهم على شرائها منهم بقيمة الف وستائة

جنيفاً ولكنه لم يعطهم سوى قيمة تسع جنيهات واثني عشر شلناً وتم له امتلاك تلك البقعة

في سنة ١٦٧٢ ظهرت سطوة فرنسا وقوتها في عصر ملكها لويس الرابع عشر الذي أرسل اسطولا لفتح والاستعمار ببلاد الهند وقد أزعج ذلك الهولانديين وجعلهم في خوف من الاعتداء على مستعمراتهم فأرسلوا الى الكاب حاكماً عاماً اسمه چوسكى فوضوا اليه أمر الدفاع والمحافظة عن مستعمراتهم وجعلوا له مرتباً قدره خمسة وعشرين جنيفاً وكان يوجد بجهة الكاب في ذلك الحين ستاية من الاوروبيين

جاء بعد ذلك حاكم آخر يسمى قاندراشتيل وفي عهده أخذت مدينة الكاب في الاتساع فأنشأ القسم المسمى اشتلان بوش وخط طرقاتاً وأنشأ حدائق ومزارع كثيرة وغير ذلك من وسائل العمران حتى بلغت شهرتها أوروبا وقد شجع الزراعة التي أتت بمحصول عظيم فاض عن حاجة الأهالي وكان منه تجارة نافعة . وفي سنة ١٦٨٥ جاء للكاب نحو ثلاثمائة من المهاجرين الفرنسيين وبين سنة ١٦٨٩ و سنة ١٦٩٤ كثر عدد الاهالي فوسعوا المستشفى لأن أغلب البحارة في طريقهم من الهند كانوا يصابون بالامراض حتى أنه وجدت بعض سفن لم يكن عليها فرد على قيد الحياة ، وقد استحضروا أيضاً من أوروبا أنواع الثيران والغنم لتكثير المواشى واستحضروا ادود القز لعمل الحرير في سنة ١٧١٣ انتشر وباء الجدري فمات من البيض نحو خمس وعشرين في المائة من تعدادهم ولكن لحسن حظهم أن اكتسح هذا

الوباء الوفا من العبيد والزواج نفلت الاراضى المجاورة للكاب واستغلها
الاوروبيون لاتتاجها والاستفادة منها

استمرت عظمة هولاندا الاستعمارية ومجدها على البحار لغاية
سنة ١٧٢٥ حيث بدأ منذ هذا التاريخ مزاحمة الانجليز والفرنسيين لهم
بالتجارة فى بلاد الهند وباستعمار بعض البلاد فقل حظ الهولانديين وأخذ
مجدهم فى الانحلال وتضاءلت شوكتهم وساءت ادارتهم وانحلت منهم صفات
الجد والهمة فأعقب ذلك افلاس شركة الهند الشرقية الهولاندية تلك
الشركة العظيمة فى سنة ١٧٨٠ بسبب غرق ١٩ سفينة تجارية وثمانمائة
رجل وكمية كبيرة من الذخيرة تقدر بنصف مليون من الجنيهات وكان
فى ذلك الحين يوجد بالكاب حاكم أفسد الحكم بالرشوة وأساء التدبير
فى ادارته فضايق صدر الاهالى من تلك الحالة سواء كانوا أوروبيين
أو عبيداً وقد انتهزت انجلترا من تلك الفوضى فرصة لتحقيق مطامعها
فأعلنت حرباً على هولاندا وأرسلت أسطولاً بحرياً وثلاثة آلاف من
الجند للاستيلاء على الكاب ولكن ردت تلك الغارة وأرغمت على
العدول لانها اصطدمت بقوة حربية بحرية فرنساوية تحت قيادة
الاميرال سوفرين الذى كان سبق بالاستيلاء على الكاب وترك بها
قوة عسكرية لحمايتها وبقي الفرنسيون بها مدة سنتين الى أن ظهرت
عمارة بحرية انجليزية فجأة فى سنة ١٧٩٥ أمام الكاب واستولت عليها
عنوة وزاد الانجليز من عمرانها وأسسوا شركات وصرفوا نحو مليون
جنيهاً لتحسين جهات الكاب وأوقفوا تجارة الرقيق ليحببوا اليهم



الاهالى والسكن فى سنة ١٨٠٢ فى معاهدة اميان عقب انتصار فرنسا على انجلترا اشترطت الاولى على الثانية بتسليم السكاب لهولاندا حليفة فرنسا فى ذلك الحين وبعد ذلك عادت انجلترا فى سنة ١٨٠٦ معلنة حربها على هولاندا وأرسلت قوة عسكرية وأسطولا بحرياً واحتلت السكاب ثانياً وقد انهزم أمامهم الهولانديون البالغ عددهم خمسة آلاف ومن ذلك الحين صارت السكاب انجليزية

نظرت انجلترا فى توسيع تلك المستعمرة فاشترت فى سنة ١٨١٥ ثلاث بلاد من العبيد وهى بيرياس وديجارا واسكيبو بمبلغ قيمته ستة ملايين من الجنيهات وكان يبلغ عدد سكان أهالى السكاب فى ذلك الحين ٢٦٧٠٠ من الاوروبيين و٢٩٠٠٠ من الرقيق و١٦٦٥٠ من عبيد الهوتنتوت الذين هم أصل سكان تلك الجهات وصار الانجليز بالتدريج يتقدمون فى تلك الاراضى لضمها اليهم حتى استولوا على بلاد الترنسفال سنة ١٨٧٧ ولكن ثار هؤلاء ونالوا استقلالهم بثورتهم وكفاحهم سنة ١٨٨١ ثم تغيرت الاحوال والحوادث وانتهت أخيراً بضم السكاب الى حكومات جنوب أفريقيا المتحدة بما فيها الترنسفال وذلك فى ٣١ مايو سنة ١٩١٠ يوم ٢٩ مايو كان يوم عيد والدكاكين معطلة فاقتصرنا على الفسحة بحديقة الفندق وفى الساعة الثانية بعد الظهر جاء مدير فرع كوك وركب معنا السيارة الى حديقة النباتات الموجودة بكيرستن بوش وهى تبعد ثلث ساعة من الفندق والطرق معمولة بالمشكدام والاسفلت ثم مررنا بغابات من الصنوبر واشجار أخرى قائمة منذ ثلاثمائة سنة والمناظر من



المرتفعات الى الوديان في زى جميل ورونق مشرق بديع فوصلنا الى الحديقة حيث استقبلنا مديرها وأرانا مجموعة من النباتات والزهور النادرة الوجود وهى خاصة بتلك البلاد أذكر منها شجرة الفضة وهى ذات أوراق بيضاء اذا ما انعكست أشعة الشمس عليها تظهر بلون الفضة الناصعة وبعد أن شاهدنا ما بالحديقة دعانا لتناول الشاي بمنزله القائم في وسط الحديقة فعرفنا بزوجته وبعد تناول الشاي غادرنا الحديقة في الساعة الخامسة مساء وفي طريقنا كنا نرى كثيراً من الرجال والنساء والأولاد عائدين من فسحتهم الخلوية بالغابات والجمال اشتغل في عمل تلك الطرق المسجونون وهى تعادل أحسن الطرق في البلاد المتقدمة بأوروبا

يوم ٣٠ مايو صباحاً خرجنا للفسحة على الاقدام وذهبنا لمشاهدة الصور بدار الآثار وفي الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا سيارة لعمل فسحة حول جبل تابل مونت فمررنا بجانب شاطئ البحر لغاية سى پوينت وهناك فنادق وقيلات لطيفة وهذا الطريق يشابه كثيراً الطريق الذى بين مونت كارلو ونيس بفرنسا المعروف بسكة الكورنيش، ثم من نقطة كرجل باى عبرنا الجبل بالسيارة من شاطئ الاتلانتيك لشاطئ الباسفيك الهندي وكانت المناظر جميلة جداً والطريق في غاية من الراحة ثم مررنا بثين برج أى جبل الهواء ومررنا أمام جروت أشنور وهى مسكن رئيس وزارة جنوب أفريقيا وهذا الطريق تظله الاشجار العالية القديمة من جانبه وهو يذكر الانسان بسكة فرساي الجميلة



بحوار باريس والحقيقة أن ضواحي مدينة الكاب لها من البهاء والجمال ما يعجب عشاق جمال الطبيعة

بلغنا المدينة قبل غروب الشمس فذهبنا لمشاهدة دار المحافظة القديمة فوجدنا بها مجموعة من الصور القديمة التي أهدت للبلدية من المسيو ميخائيلس وضمنها بعض رسومات هولاندية قديمة وأقدم ما توجد بينها منذ سنة ١٥٨٥، ثم ذهبنا لزيارة بيت قديم منذ مائتين وخمسين عاماً به أثاث قديم من المنقولات الفرنسية والهولاندية أهدت من شخص يدعى كوب مان دي ثيت ويوجد بينها أشياء نفيسة جداً وأثناء دعوتنا الى الفندق مررنا بدار مجلس النواب وسراى الحاكم العام

يوم ٣٢ مايو صباحاً ذهبنا لمشاهدة دار آثار التاريخ الطبيعي والحيوانات وهي رغم صغرها تحتوى على أشياء غريبة مثل أنواع الاسماك والعصافير والحشرات وكلها محنطة ثم عدنا الى الفندق نظراً لكثرة الضباب . في الساعة الثانية بعد الظهر صفا الجو قليلا وظهرت الشمس فشجعنا ذلك على طلب السيارة لقضاء نزهة طويلة في شبه جزيرة الكاب فررنا من طرق جميلة الى احدى الشواطىء التي بها حمامات البحر وهي على بعد خمسة عشر ميلا ونصف من الكاب وقد ضموها للمدينة وبها مكتبة أهدت من أمريكى يدعى كارنيجى وكان الطريق الموصل اليها مفروشا بالاسفلت وبها لوكاندات وقيلات جميلة ومن الغريب أن مياه بحر الباسفيك الهندى في تلك النقطة أدفأ من



مياه الاتلانتيكى فى النقطة المقابلة له باثنى عشر درجة . ثم مررنا
 بفيلا صغيرة ختم فيها سسل رود أيامه وانطفأ فيها سراج حيانه ،
 ولما كان الجو ملاماً استمرينا فى طريقنا لغاية سيمونس باى بشبه
 جزيرة السكاب التى بها خلجان كثيرة لها تاريخ تعرف به وخليج سيمونس
 باى كان مستودعاً بحرياً للملاحة الهولاندية للملاءمة فى وقت الشتاء
 ولما ظهرت السفن البخارية كانت تأخذ مؤونتها من هذه الميناء وكان
 الصيادون الامريكان يلجأون اليها وقت العواصف بالمحيط الجنوبى
 وقد تنازل مجلس نواب السكاب عن هذا الخليج هدية للبحرية الانجليزية
 فى سنة ١٨٨٩

مررنا باستحكام على الشاطىء وشاهدنا سفينة حربية انجليزية
 بالميناء التى يقال أن الحكومة الانجليزية صرفت مليونين وخمسمائة
 الف جنيهاً لتصليحها ولعمل حوض يكفى لان يسع أكبر دردنوط
 ومن ضمن هذا المبلغ انشئت اسبتالية أيضاً للبحارة الانجليز وقد عبرنا
 من هذه النقطة الجبل بالسيارة فنزلنا الى شاطىء الاتلانتيكى بالجهة
 الاخرى حيث خليج شانجانباى به تفراف لاساكي وقد تقابلنا بكثير
 من السيارات فى طريقنا ثم رجعنا الى المدينة عن طريق شاطىء البحر
 الذى مررنا منه بالامس

يوم أول يونيو كان الجو ملبداً بالغمام المظلم والسحب الكثيفة
 فلم نخرج من الفندق

يوم ٢ يونيو تحسن الجو قليلاً ولكن الشمس لم تظهر فذهبنا

الى ادارة كوك لاعداد ما يلزم قبل السفر وبعد الظهر خرجنا ولكن
أرغمتنا رداءة الجو على الاسراع بالعودة

يوم ٣ يونيو كان لا يزال الجو على حاله بالامس وجاء مستر باوشر
مدير فرع كوك الى الفندق وقدم لنا مستر جراهام بوتارئيس دفترخانة
الحكومة فتعرفنا به ولما له من واسع الاطلاع في التاريخ وجم الدراية
بما في تلك البلاد صحبنا ليطاعنا على آثار القاعة القديمة الهولندية فدخلنا
من بوابة كبيرة عليها حراس من الجند الى حوش كبير تحوطه مساكن
بشكل الثكنات العسكرية القديمة

بدأ بانشاء هذه القلعة في سنة ١٦٦٦ الهولنديون ولما كان سير
العمل بطيئاً اشترك الحاكم باكس وزوجه في نقل الاحجار وفي العمل
تشجيعاً للناس في انشاء هذا الحصن الضروري لهم وكان ذلك في
سنة ١٦٧٧ وبهمته تم بناؤه في ثلاث سنوات من هذا التاريخ

يوجد في واجهة البناء داخل الحوش محل يصعد اليه بسلم من
الجانبيين كان يستعمل قديماً لابلأغ الجمهور أوامر الحكومة الصادرة
فيدعى الناس بواسطة دق جرس كبير فتتلى عليهم الاوامر ويوجد الآن
بهذا المحل غرفة القائد العام وغرف ضباط أركان حرب الحكومة
الحالية

بعد ذلك صعدنا من سلم ضيق في الجدار الى قمة السور فكنا
نطل على الخنادق المحيطة بالسور من الخارج ويوجد حول البناء والسور
حوش آخر بسور آخر وذلك لتأمين الدفاع بوضع المدافع على السور

الداخلي اذا ما أضعوا السور الأول وقد رأينا أيضاً غرفة من السجن القديم وغرفة أخرى تحت الارض مظامة خصيصة لوضع المتهمين فيها وتلك كانت ضمن الطرق المستعملة للحصول على اعتراف المتهم قبل المحاكمة في العهد القديم

ذهبنا من هناك الى جروت شنور بقرب حديقة النباتات وهو اسم منزل كان لسسل رود الذي بعد أن أقام فيه مدة طويلة اهداه لحكومة اتحاد جنوب افريقيا على شرط أن يكون منزلا لسكنى رئيس كل وزارة حالية مدة اقامة الحكومة بالكاب التي هي العاصمة الثانية لجنوب أفريقيا ويوجد حول المنزل والحديقة أراض واسعة بها كثير من أنواع الحيوانات والغزلان الخاصة بأفريقيا الجنوبية وهي متروكة طليقة على حالتها الطبيعية بتلك الضيعة . وهذا المنزل أشبه بدار آثار توجد به مجموعة من أثاثات هولندية قديمة واطباق وقصاري من الصينى والبللور وسجاجيد فارسية قديمة ولقد تفقدنا الغرف التي كان يقيم بها سسل رود واصحابه المشهورون ومما يستحق الذكر منها غرفة المكتبة التي بها كتب مكتوبة بالآلة التايبيراير منقولة من كتب خط يد وتقدر قيمتها بسبعة آلاف جنيه ومما يستلفت النظر بغرفة الاستحمام «الحمام» حوض حمام من حجر الجرانيت الأسود منحوت من قطعة واحدة يبلغ وزنه ثلاثة اطنان وقد أعجبنا بساعات الحائط القديمة التي لا تزال مضبوطة مع قدم عهدها ولقد غادرنا المنزل متحدثين بمحتوياته الثمينة وبهمة صاحبه الفاتقة فذهبنا الى الفندق وفي الساعة الثالثة بعد الظهر

نزلنا الى المدينة لشراء بعض كتب ومجلات نستعين بها على قضاء الوقت في سفر البحر

يوم ٤ يونيو لم نستطع الخروج بسبب الضباب ورطوبة الجو وبعد الظهر ركبنا سياراة حيث ذهبنا الى حديقة النباتات للاستعلام عما تم بشأن ما وعدنا باعطائه لنا من النباتات التي أعجبنا وأردنا أن نستحضرها لمصرنا العزيزة ثم ذهبنا لرؤية الهيكل العظيم الذي أقيم تذكراً لسسل رود على قمة عالية يصل اليها الانسان من طريق باشجار الصنوبر العالية من الجانبين متقابلة أطرافها من أعلا فهي بشكل سقف على امتداد الطريق فرأينا بناء هذا الهيكل منشأ على طراز معبد أكروبول القديم بمدينة أثينا يصعد اليه بسلم واسع في مسافة قليلة وفي نهايته تمثال بصورة سسل رود للنصف الاعلا من الجسم وأمامه من الجانبين تماثيل ثمانية سباع في وسطها تمثال رجل عارى الجسم على حصان وهو يقبض على زمامه وهذا التمثال رمز ينطق عن صاحبه بالهمة والنشاط والعبقرية التي قاما تجود بها الطبيعة على كثير من بنى الانسان يطل الرأى من هذا المرتفع على منظر جميل من الوادى في حلتة الخضراء كما يرى مياه المحيطين من اليمين واليسار ويقال أن سسل رود تعود أن يجلس في هذا المكان ليمتع ناظره ويسلى قلبه برؤية تلك المناظر الطبيعية الجميلة التي تشرح الصدور وتحيي النفوس

أثناء عودتنا مررنا أمام جامعين بالمدينة ويقال أن بها سبعة جوامع شادها الجاويون وقد علمنا أن الجاويين بتلك المدينة شرعوا في اقامة

تمثال لرجل يدعى الشيخ يوسف كان زعيماً في بلاده وهو من عائلة ملوكية ينسب الى قبيلة بانتان بجاوه وكان قائداً وقع في أسرا الهولانديين أثناء حربهم التي استولوا في نهايتها على بلاد جاوه ثم أتوا به أسيراً الى مدينة الكاب في سنة ١٦٩٠ حيث توفاه الله بها وله في قلوب المسلمين وعلى الخصوص الجاويين مقام رفيع واحترام عظيم حيث عرف بالتمقوى والبركة وهذا التمثال سيكون بشكل مأذنة مكتوب على أحد جوانبها موجز تاريخ حياته وعلى جانب آخر صيغة شكر وتمجيد لهذا الرجل الذي هو أول مسلم أتى بالقرآن وأظهر الاسلام ببلاد الكاب وكان المقرر والمعلوم أن ولي عهد إنجلترا كان سيضع أول حجر في أساس هذا التمثال كتذكار عن زيارته لجنوب أفريقيا هذه السنة ولكن صادف ولي العهد ما أخره عن زيارة جنوب أفريقيا هذا العام فبدأوا في اقامة التمثال

يوم ٥ يونيو صباحاً كان يوجد ضباب رغم ظهور الشمس ساطعة. توجهنا لمحلك كوك فأخذنا الباسبور تات ثم عدنا الى الفندق وبعد الظهر ركبنا سيارة وذهبنا لرؤية الباخرة التي سنبحر عليها غداً الى أوروبا فوجدناها كبيرة الحجم تبلغ حمولتها تسعة عشر ألف طنناً وبها أربع مداخل فبعد أن شاهدنا الغرف الخاصة بنا وصالة الطعام وبقي الصالونات نزلنا حيث ركبنا السيارة وقضينا فسحة بجانب الرصيف الجديد الجاري انشاؤه على ساحل البحر وفي الساعة الرابعة ونصف عدنا الى الفندق

يوم ٦ يونيو صباحا كان الجو ملبدا بالغيوم فجاءنا مندوب من قبل شركة كوك بعربة منها لآخذ منقولاتنا الى الباخرة فغادرنا الفندق في الساعة العاشرة صباحا ليسهل لنا الصعود الى الباخرة ولترتب أشياءنا قبل زحام الناس ثم تناولنا غذاءنا بالباخرة وبعد الظهر ازدحم سطح الباخرة بالمسافرين الذين يبلغ عددهم خمسمائة والمودعين أيضا الذين يبلغون مثل هذا العدد وفي الساعة الرابعة مساء نزل من الباخرة جمهور المودعين وتحركت الباخرة للسفر ولكبر حجمها وعدم اتساع الميناء جاء رفاصان ليخرجاها من جانب الرصيف الى بوغاز الميناء وكان رصيف الميناء مزدحماً بالمودعين يلوحون بمناديلهم وبأيديهم وكل منهم يدعو لصاحبه أو قريبه بسفر سعيد ولما لم يكن بين المودعين من جاء لوداعنا توكلنا على الله وقلنا نعم المولى ونعم النصير

عند خروجننا من الميناء صادفنا هواء شديد وبجر هائج فأمضينا تلك الليلة بتعب وقلق اذ كانت هذه الباخرة العظيمة تهتز وتعلو وتنخفض بقوة الامواج وعصف الهواء

يوم ٧ يونيو كان الطقس باردا والشمس ساطعة وقد هدأ البحر وسكن الهواء ومضى اليوم على ذلك دون أن نرى شيئا من البر أو عالما في البحر

يوم ٨ يونيو مضى اليوم بغيام كثيف وقليل من المطر وقد تقابلنا بباخرة تجارية

يوم ٩ يونيو كان الطقس معتدلا ولكن الباخرة كانت تمايل بحركة

محسوسة وبعد الظهر تقابلنا بسفينة أخرى

يوم ١٩ يونيو كان الجو لطيفا والطقس دافئا والسفينة لا تزال في حركة غير هادئة وفي يوم ١١ يونيو كنا على مقربة من منطقة خط الاستواء فابتدأنا نشعر بحرارة الطقس وارتدى الناس ملابساً بيضاء صيفية وفي يوم ١٢ يونيو ازدادت حرارة الطقس وبعد الظهر كنا على مسافة أربع درجات من جنوب خط الاستواء وفي يوم ١٣ كان الحر على حاله وفي الساعة الحادية عشر وربع مررنا بخط الاستواء وتقابلنا بباخرتين في هذا اليوم وفي المساء كانت على الباخرة حفلة رقص شائقة اشترك فيها كثير من الرجال والسيدات وكان البعض بملابس غريبة قلد بعضهم فيها عرب بغداد في زيهم والبعض في زي المغاربة وبعضهم ظهر في أزياء متنكرة وكذلك السيدات وكان لجوقة الموسيقى فضل في احياء مثل هذه الليالي وتسلية المسافرين ثم وزعت الجوائز على من ظهر في زي بديع أو غريب من الرجال والسيدات وكان الطقس مساعدا للسيدات في ارتداء أخف الملابس وأيقها لمثل تلك الحفلات وذهبت الى غرفة نومي في الساعة العاشرة مساء

يوم ١٤ يونيو كان جو الصباح رطباً وغشينا قليل من المطر عكس ما كان يعتقد قبطان الباخرة

يوم ١٥ يونيو كان الجو رطباً والبحر هادئاً ورأينا نوعاً من السمك الكبير يسمى سمك الشيش يسابق الباخرة في سيرها
يوم ١٦ كان الجو على حالة ولكن لمجيء الهواء مقابل لنا تحرك

البحر قليلا وقد مررنا حوالى الساعة الرابعة صباحا بكاب فيرد وفي هذا اليوم تقابلنا بياخرتين وفي يوم ١٧ يونيو كان الجو رطبا والبحر في حركة محسوسة وفي الساعة الثامنة صباحاً رأينا جزيرة جوميرا وجبل تينى ريف تبع جزائر كانارى ومررنا بين الجزيرتين في الساعة الحادية عشر صباحاً وفي يوم ١٩ يونيو الساعة السادسة صباحاً القت الباخرة مرساها في ميناء فونشال عاصمة جزيرة ماديرا

تلك المدينة بل الجزيرة كلها أيضاً لها منظر جميل من سطح الباخرة فهى عبارة عن جنائن وحدائق تظهر من بينها المساكن والابنية وفي الساعة الثامنة صباحاً جاء مدير الفندق على موتوربوت الى الباخرة فركبنا معه حيث ذهبنا الى الفندق

اكتب عن جزيرة ماديرا وصفا عاما متجنباً ذكر كل يوم بيوم . كانت هذه الجزيرة تابعة لعرب الغرب قديماً ثم انتقلت الى يد البرتغاليين وظلت تابعة لهم الى الآن وبها مائة ثمانية وستين الفامن السكان وعاصمتها مدينة فونشال وهى يبطن الجبل على ساحل البحر وتمتد قليلا الى جزء من سطح الجبل الذى يحيط بها من الخلف بالحدائق والزهور اما الطرق بالمدينة فرسومة بحجارة صغيرة وتوجد عربات خصيصة يجرها البقر والبغال وليس لها عجل وانما تنزلق على قطعتين مستطيلتين من الخشب مصفحتين بالحديد ويوجد أيضاً بالطرق الجبلية حاملون يحمل كل اثنين منهما جهازا من القماش المتين يركب عليه شخص واحد ويحملان ذلك بواسطة خشبة طويلة اسطوانية ترفع من طرفيها على كتفى الرجلين



وقد انشأوا بالجزيرة طرقاً تصلح للسيارات التي يكثر وجودها شيئاً فشيئاً .

أهالى تلك الجزيرة منهم سبعمون فى المائة لا يقرأون ولا يكتبون والصناعة المشهورة بتلك الجزيرة هى صناعة التطريز على الاقمشة وصناعة النبيذ والاشتغال بزراعة الفاكهة ومما يجعل المناظر الطبيعية جميلة جداً وجود الوديان الكبيرة التي تقسم الاراضى الى تلول عديدة وترسم مجاريا عديدة من المياه وأيضاً الشلالات الصغيرة والارض كلها مكسوة بالحضرة فيكل منزل له حديقة سيان فى ذلك غنى وفقير ويمتاز بين حدائق الجزيرة ما هو منها لبعض تجار الانجليز الذين هم أغنياء الجزيرة وقد ذهبنا لمشاهدة حديقتين لرئيس إحدى شركات البواخر فأعجبنا نظامها وما حوت من الزهور المختلفة الانواع والاشجار الهرمة وكانت بوجه عام عظيمة الاتساع جميلة الموقع تستحق الإعجاب

الجو بتلك الجزيرة نقى جداً لأنها محاطة بالبحر ومكسوة بالحضرة والاشجار فهو أؤها خالص من التراب منعش ولا يختلف فيها الطقس كثيراً بين البرودة والحرارة فى الليل والنهار وكذلك فى الشتاء لا تبلغ درجة الحرارة الى الصفر ولهذا ترى اوراق الاشجار نضرة نظيفة على الدوام ومن الاشياء التي تستحق الذكر بالعاصمة كنيضة قديمة بها سقف من الخشب من صناعة العرب وبها كثير من القناديل القديمة وشمعدانات فضية وهياكل من الخشب المذهب متقونة الصنع قديمة الاثر كم تصلح تلك الجزيرة لمن أراد الراحة والسكون لانها هادئة

وتكاليف الحياة بها ان لم تكن زهيدة فليست باهظة وبها كثير من
 الفاكهة وأهلها فقراء متدينون معروفون بسذاجة الطبع والبساطة
 والهدوء ويكثر نزوح السائحين اليها ما بين شهر سبتمبر لغاية أول شهر
 ابريل ومن ضمن التسلية الموجودة بالجزيرة للسواح هو كازينو للعب
 القمار ومرسح تياترو فقط ويسكن بتلك الجزيرة (الآن بجانب الفندق
 أمبراطورة النمسا الأخيرة في منزل متوسط الحال بين حديقة واسعة
 ضمن أملاك صاحب الفندق وهي تعيش عيشة بعيدة عن البذخ والترف
 والعظمة وقد عرفت بين أهل المدينة بالنعبد حيث تتردد الى الكنيسة
 وكذلك بالرافة وعمل الخير مع ما هي عليه من قصر ذات اليد وعسر
 الحال بعد سقوط العائلة الحاكمة النمساوية عقب الحرب الكبرى اذ
 علمنا أن هذا المنزل قدمه لها صاحب الفندق بلا مقابل لثرائه ولحبهته
 بالعائلة الملوكية البرتغالية التي زال حكمها من بلاد البرتغال وكانت لها
 صلة بالعائلة الامبراطورية النمساوية — ثم غادرنا جزيرة ماديراه على
 باخرة آتية من أمريكا الجنوبية الى ليسبون عاصمة البورتغال
 وكذلك انتهت رحلتنا بعد أن مكثنا بماديرا خمسة أيام جعلناها ختاماً
 لرحلتنا في جنوب أفريقيا وكانت ختاماً حسناً نحمد الله عليه حمداً جزيلاً
 ونرجو أن يوفقنا فيما اعزمناه من اتمام رحلاتنا في باقي أقطار الدنيا
 واكرر له الحمد في البدء والختام

